بصائر المعرفة القرآنية
قرآن يتلى لإنسانية به ترقى

المنهج النبوي في التلقي القرآني

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية

المنهج النبوي في التلقي القرآني

د. عبد السلام العبيدي

رئيس الشعبة الأكاديمية في معهد الدعوة
والعلوم الإسلامية بوزارة الأوقاف القطرية،
وأستاذ الدراسات العليا بجامعة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة بحث المنهج النبوي في التلقي القرآني

يرصد هذا البحث تفاصيل التلقي القرآني في أصل الإسناد القرآني حيث كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلقى القرآن من جبريل عليه السلام عن الله عز وجل، وقد تكون البحث من ثلاثة فصول:

تكلم الفصل الأول عن أول سلسلة البلاغ عن الله -جل ذكره- المتمثلة بجبريلعليه السلام ومؤهلاته التي هيأته لنقل كلام الله عز وجل بأعلى درجات الحفظ.

وبَيَّن **الفصل الثاني** كيفية اتصال جبريلعليه السلام بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتهيئة جبريلعليه السلام والرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتحقيق ذلك الاتصال بين مُعَلِّمٍ من عالم الملائكة ورسولٍ من عالم البشر، ويقرِّب ذلك بالأمثلة المفيدة.

وَفَصَّل **الفصل الثالث** كيفية تلقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لألفاظ القرآن الكريم، والهيئة التي تمَّ بها ذلك التلقي، وكيفية مجيء جبريل عليه السلام، وكيفية إلقاء الوحي على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وضرب لذلك الأمثلة التي تقرب للأذهان فهم ما نقل لنا من كيفية تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لألفاظ القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام.

ثم ناقش ما يتصل بذلك مما يتعلق بحالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقت التلقي، وحرصه على الحفظ، وما كان يعالج من الشدة من التنزيل، ويتعجل فيه من الحفظ، **وتولي اللهعز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإمداده بالقدرة على تلقي ألفاظ القرآن، وحفظه، وتفاصيل ترتيله، وهيئات أدائه، والمدارسة** التي كان يتعهد بها جبريلعليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل عام.

ونرجو أن البحث قد تضمن لفتاتٍ جديدةً تثري هذا الموضوع، وتستفيد من معطيات العصر، في تقريب حدوث الوحي بين عالم الملائكة وعالم البشر، وفي رصد الوقائع العملية التي تم بها حفظ ذلك الوحي.

المقدمة

حفظ القرآن بين الضمان الإلهي، والأدوات الواقعية:

تمت كلمات الله صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، وكان مما تم أنه: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام/ 115] ويجتمع النفي في آية الأنعام المتقدمة مع الإثبات في آية الحجر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر/ 9] ليظهر السياج الإلهي المتين الذي حفظ لفظ القرآن الكريم من أن يطرأ عليه أدنى تغيير، أو أن تعتريه شائبة تطوير سواء أكان ذلك من ساهٍ أو من متعمد تأكيداً على أهمية الحفاظ على لفظ القرآن؛ إذ هو المعبر الوحيد، والسبيل الفريد لتأويل معناه، وسبر غوره، وإدراك مغزاه، وأي تبديلٍ في لفظه، أو تحريف في أدائه، مُلْبِسٌ لمعناه بما اكتنفته عقول البشر من معانٍ.

والفهم العملي يحتم جعل هذه الحقيقة الإلهية في إطارها الواقعي، ومن ثم تكوين أدوات التنفيذ لإحالة هذه الحقيقة إلى واقع، مع اليقين بأن حدوث ذلك أمر قدري كوني للضمان الإلهي، فتكوين الأدوات الواقعية لحفظ ألفاظ القرآن الكريم إنما هو تناغمٌ مع الحقيقة الإلهية الحتمية...

وإذا كان اللفظ هو سبيل المعنى فإن أداء اللفظ هو سبيل إخراجه، وإبانتُه هو طريق إدراكه، فالتغيير في اللفظ سبيلٌ لتحريف المعنى، والخلل في أداء اللفظ خلل في اللفظ

ذاته. **فقد اجتمع من هذا الارتباط: أهمية كل واحد من الثلاثة (المعنى، اللفظ، أداء اللفظ) للآخر، وشدة تعلق كل بالآخر**[1].

أسباب دراسة المنهج النبوي في التَّعَلُّم القرآني:

أولاً: بيان الأدوات الواقعية لحقيقة الحفظ الإلهية للقرآن الكريم:

فقد بُدِئت الجهود الكثيفة التي وُجِّهت للاعتناء بلفظ القرآن الكريممن لدن جبريل عليه السلام الذي علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي القرآني، وبقيت هذه الجهود متتابعة إلى أيامنا، نقلاً للفظ القرآن، وطريقة أدائه، وهيئات ضبطه، وسبل رسم ألفاظه، ودروب الوقف والابتداء في آياته، وعدد تلك الآيات، وأزمنة حفظه، ومراجعته، وقراءته، وإقرائه على هيئةٍ معجزةٍ عظيمة عجيبة لتكون أحد البراهين والمعجزات على أن الإسلام هو الدين الحق المبين، وعلى الرغم من الجهود المضنية، والمكر الكبار الدائر في الليل والنهار من قبل أشرار العالم ومجانين أولياء الشيطان لمحاولة طمس نور الله، وتغيير القرآن ومحاولات اللغو فيه إلا أنه يزداد انتشاراً وارتفاعاً على الرغم من استضعاف أهله، ومحاولات إبادتهم أو تذويبهم في الثقافات المعادية للقرآن..هذا المكر الكبار ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ

(1) وهذا على تفصيل في أنواع الأداء؛ إذ منه ما يرجع إلى الصفات الذاتية للفظ، فلا يستقيم اللفظ بدونها كالاستعلاء، والاستفال، والجهر، والشدة ... ومنه ما يرجع إلى الصفات العارضة كالتفخيم، والترقيق، والفتح، والإمالة؛ إذ هي راجعة إلى الاستعلاء، والاستفال... فلا يتأثر أصل اللفظ بأدائه هنا، بل إن الدراسات الصوتية، والملاحظات العابرة لهيئات أداء الكلمات، ونطق الجمل، قد أثبتت تغير المعنى بتغير الهيئات الفرعية للأداء، كتغير النبر، وهو من الهيئات الموغلة في الفرعية من حيث نطق الألفاظ، انظر: د. يوسف الخليفة أبو بكر: البحث التربوي واللغوي في مجال تعليم القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الأول، ذو القعدة 1415هـ.

لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26]، وعبر عنه مجرمو الحروب المعاصرة ابتغاء الغلبة الحضارية والسيادية العالمية المعاصرة،ومنهم (جلادستون)رئيس وزراء بريطانيا الذي قال في مجلس العموم البريطاني: «مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة علي الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان»، ويسير المنصرون الذين رافقوا هذه الحملات على نفس الخط فيقول المنصر وليم جيفورد بالكراف: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد -صلى الله عليه وسلم- وكتابه».

ويصبح طرق هذا الموضوع في حيز الضرورة في آنٍ تعالت فيه أصوات الانهزام أمام الضغط الثقافي المستعلي الوافد، فنادت بعدم التزام اللفظ، وأنكرت التزام الأداء من حيث الأصل[1]، بل حاولت فيها أن تجعل القرآن كأي بناء لغوي منطوق يُكَوِّن صورة أدائية، تتغير بتغير الزمن، ولا يعوق هذا التغيير عوامل التقديس[2]، **وأبلغ ردٍّ على ذلك معرفة المنهج النبوي في التلقي القرآني مكونة الإطار الواقعي لحقيقة الحفظ**

(1) انظر: مثال ذلك في كتاب: الفرقان لمن رمز لاسمه بابن الخطيب، وهو محمد محمد عبد اللطيف، الطبعة لم تذكر - دار الكتب العلمية ـ بيروت، وقد طبع هذا الكتاب، ومما زعمه أن القرآن حفظ بمعناه لا بلفظه، وأن القرآن لا يجب تلقيه من القراء، فأصدر شيخ الأزهر بعد طبعه قراراً بتشكيل لجنة من ثلاثة من العلماء لمناقشة ما جاء فيه، فوضعت اللجنة تقريرها المتضمن ذكر أباطيله عام 1948م، وصودر الكتاب، واختفى من أيدي الناس على أن مصيره كان الإهمال قبل ذلك، وهو كذلك بعد ذلك . وانظر: غانم قدوري الحمد: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ط1، 1402هـ-1982 م، ص212 .

(2) انظر: (عرجون) الشيخ محمد الصادق (عميد كلية أصول الدين):بحث علمي لنقد مزاعم حول قراءات القرآن في رسالة: (أصوات المد في القرآن الكريم) بكلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية،، جامعة الأزهر، اتحاد الطلاب بكلية أصول الدين، اللجنة الاجتماعية 1386هـ-1966م .

الإلهي مما يورث الاطمئنان السابغ بعظمة القرآن، وأنه يقرأ كما أقرأه جبريل عليه السلام، وتلقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: **أن تُتَخَذ التفصيلات الفعلية في منهج التلقي النبوي القرآني سبيلاً منهجياً في الخطة التعليمية لألفاظ القرآن** يُرْجَعُ إليها، ويُتَحاكَمُ عند الاختلاف إلى مُتَضَمَناتِها، ما دامت موضوعة ضمن **دائرة الأسوة والطاقة البشرية**.

الهيكل العام للبحث:

يتكون البحث من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مؤهلات المعلم المُلقي.

الفصل الثاني: اتصال جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لتلقينه الوحي القرآني.

الفصل الثالث:هيئة تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام.

الفصل الأول: مؤهلات المعلم المُلقي

كان المسلمون في زمن النهوض والتنوير يسألون عن خطوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وتعليمه للأمة، ومن ذلك ما قاله **الواقدي** -فيما حكاه عنه ابن سعد-: «حج أمير المؤمنين هارون الرشيد فورد المدينة فقال ليحيى بن خالد: ارتد لي رجلاً عارفاً بالمدينة والمشاهد، وكيف كان نزول جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن أي وجه كان يأتيه ...»[1].

ويتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مؤهلات المعلم الملقي.

المبحث الثاني: أمين الوحي في السماء لأهل السماء.

المبحث الثالث: اختيار جبريل عليه السلام ليكون الوسيط بين الله عز وجل ورسله.

---

(1) (ابن سعد) محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (168هـ ت 230هـ): الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت .

المبحث الأول: مؤهلات المعلم الملقي

المطلب الأول: صفات جبريل عليه السلام من حيث تهيئته الخَلْقية:

الصفة الأولى: عظمة الخلقة:

فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل: يا محمد كيف يأتيك الذي يأتيك ؟ يعني جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ، وباطن قدميه أخضر)[1]، ويؤيده ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (رأيت جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى وعليه ستمائة جناح ينثر من ريشه تهاويل الدر والياقوت)[2]. وتهاويل الدر والياقوت قال **ابن الأثير** ـ رحمه الله تعالى- في تفسيرها: «أي الأشياء المختلفة الألوَان... وأصلها مما يهول الإنسانويُحيّره»[3].

ولجبريلعليه السلام القدرة على التشكل بأجسامٍ أخرى، ولكنه كان أكثر ما كان يأتيه في صورة الصحابي الجليل (دِحْية الكلبي)، فعن جابر ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (عرض علي الأنبياء ... ورأيت جبريل، فإذا أقرب من رأيت

---

(1) (ابن أبي عاصم) أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني ت287هـ: الآحاد والمثاني 3/ 456، مراجعة: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، 1411هـ-1991م، دار الراية الرياض.

(2) ابن حبان 14/ 337، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: « إسناده حسن» .

(3) (ابن الأثير) المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم أبو السعادات الجزري ت606هـ: النهاية في غريب الأثر 5/ 282، النهاية في غريب الأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطباخي، 1399 هـ-1979م، دار الفكر-بيروت.

شبهاً دحية بن خليفة)[1]، **وإنما جُعِلت هذه الصفة أول الصفات لارتباطها بالقدرة التي أودعها الله في جبريلعليه السلام ليأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيعلمه القرآن بإطلاق الزمان والمكان، وعلى أي هيئة كان.**

وهل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرى جبريل عليه السلام في خلقته الأصلية دائماً؟.

الجواب: لم يره كذلك إلا مرتين فقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة-رضي الله تعالى عنها- مرفوعاً: (لم أره يعني جبريلعليه السلام على صورته التي خلق عليها إلا مرتين)[2]، وبين أحمد في حديث ابن مسعود أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التي خُلِق عليها، والثانية عند المعراج[3].

ورؤيته لجبريل عليه السلام مرة **تحقق جملة أمور من حيث نقل القرآن:**

منها: إيقاع الطمأنينة في قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم برؤيته لعظيم قدرة الله عز وجل تتجلى في جبريلعليه السلام من جهة، **ومن جهة أخرى لطمأنته، وتثبيت قلبه**

---

(1) مسلم 1/ 153، وراجع: (الدينوري) عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت276 هـ: تأويل مختلف الحديث، مراجعة: محمد زهري النجار، 1972م ـ 1393هـ، دار الجيل ـ بيروت، ففيه ردٌ على من استنكر وجود خلق له قدرة على التشكل، وقد أُتِيَ هذا المستنكِر مِنْ كِبْرٍ في نفسه ما هو ببالغه، وأول كلام ابن قتيبة ـ رحمه الله تعالى ـ: «ولم يأت أهل التكذيب بهذا وأشباهه، إلا لردهم الغائب عنهم إلى الحاضر عندهم، وحملهم الأشياء على ما يعرفون من أنفسهم، ومن الحيوان، والموات، واستعمالهم حكم ذوي الجثث في الروحانيين...» .

(2) مسلم 1/ 153.

(3) أحمد 120/3، وللترمذي من طريق مسروق عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ: (لم ير محمد جبريل في صورته إلا مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد) .

على قدرة جبريلعليه السلام على نقل القرآن، وتبليغ رسالة ربه دون توانٍ، وزادت هذه الطمأنينة تأكيداً برؤيته له مرة أخرى.

ومنها: دفع توهم أن الذي يأتيه شيطان لا من قلبه فقط، بل من قلب غيره.

الصفة الثانية: أنه مَلَك:

والمَلَك واحد الملائكةُ، وهو في الأصل جمع مَلأكٍ ثم حُذفَتْ همزتُه لكثرة الاستعمال فقيل مَلَكٌ، وقد تحذفُ الهاء فيقال مَلائِك، وقيل أصلُه مَأْلَكٌ بتقديم الهمزة من الأُلُوك الرسالة، ثم قدِّمَت الهمزة وجُمع[1]، فالرسالة طبيعة ذاتية ملازمة لكون الملك ملكاً، وهذه الرسالة هي ما يصدر إلى الملائكة من أوامر فيؤدونها أدق أداء، وأتمه، وليس يخفى أن هذه هي أولى وسائل اليقين في نقل القرآن، إذ كون الرسالة طبيعة ذاتية في الملائكة يستلزم: **الأمانة في نقلها، وإتقان النقل**، ويعضد هذا أنهم المختارون ليكونوا وسائط بين الله عز وجل وخلقه، ولذا فقوله تعالى ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء/ 27] إيضاحٌ لحال الملائكة، وليس بتأسيس لصفة جديدة بعد نعتهم بالملائكية، واقتضى هذا الإيضاحَ دحضُ تخرصات الشرك وأهله في طبيعة الملائكة.

---

(1) النهاية في غريب الأثر 4/ 358، وفيه: «وفي حديث جرير: عليه مَسْحَةُ مَلَكٍ، أي أَثَرٌ من الجمال لأنهم أبداً يصِفُون الملائكَةَ بالجَمالِ». وهذه صفة خَلْقية أخرى إلا أنه لا يتعلق بها كبير أمر هنا .

الصفة الثالثة: الروح:

وقد وردت هذه اللفظة على خمس معانٍ في القرآن الكريم[1]، ولا خلاف بين المفسرين وغيرهم في أن المراد بها في قوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء/ 194] هو جبريل عليه السلام [2]، ويسمى جبريل عليه السلام روح القدس لأنه خُلِق من طَهارة[3].

وهذه الصفة الجليلة لجبريلعليه السلام ورد مدحه بها في معرض التأكيد على سلامة نقل القرآن، وبيان خصائص لفظه من سورة الشعراء، **وذلك دالٌ على مبلغها من جلالة القدر في نقل القرآن من السماء إلى الأرض**، ولعل من أسرارها في هذا الباب أن الروح فيه معنى الحياة والحركة، ويومئ ذلك إلى أن تلقي جبريل عليه السلام للقرآن من الله عز وجل تلقٍ حي لا يعروه شائبة كسل، أو موات.

ويزيد هذا المعنى إيضاحاً أن لفظة (روح) لا ترد في القرآن الكريم إلا للأمور التي استأثر الله عز وجل بها بأحد أنواع الاستئثار علماً (كروح الإنسان)، أو قولاً

---

(1) (ابن القيم) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعي الدمشقي، الروح لابن القيم ص206 ـ عالم الكتب بيروت، وذكر ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ نقلاً عن ابن التين في معنى لفظ الروح حيث ورد في القرآن الكريم تسعة معان، وأما حقيقتها فقد ذكر أنهم اختلفوا فيها على أكثر من مائة قول، وذا تكلف جلي فيما لا طائل من تحته.

(2) وعند (ابن سعد) أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزُّهري (168ـ 230): الطبقات الكبرى 1/ 194، دار صادر ـ بيروت: عن قتادة في قوله تعالى ﴿وَأَيَّدْنَهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة/ 87] قال: «هو جبريل».

(3) النهاية في غريب الأثر 4/ 23.

(كالقرآن)، **وهذا يثبت ما ذُكِرَ من علاقة سلامة نقل القرآن من السماء إلى الأرض، ودقة نقله كما قاله الله** عز وجل، بوصف جبريل عليه السلام بالروح.

كما أن من أهم مقتضيات كونه روحاً: إمكانية الاتصال المطلق، مع خفاء ذلك على من حوله، وذاك يمكنه من المجيء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون أن يشعر به أحد، وذلك لأن الروح تطلق على ما خفي.

الصفة الرابعة: السرعة والفورية في النزول بالوحي القرآني:

ففي نموذج البلاغ العام:قال صهيبرضي الله عنه :(يا رسول الله! ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل)[1].

وفي **البلاغ القرآني الخاص**روى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أملى عليه ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء/ 95] ـ قال ـ: فجاء ابن أم مكتوم وهو يمليها عليّ، فقال: يا رسول الله! لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن تُرَض فخذي، ثم سُرِّي عنه...فأنزل الله عز وجل ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[2].

---

(1) الحاكم3/ 452وصححه.

(2) البخاري 3/ 1042.

الصفة الخامسة: القوة:

كما قال تعالى ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم/ 6] أي هو صاحب جسمٍ «في قوةٍ وقدرةٍ عظيمةٍ على الذهاب فيما أمر به، والطاقة لحمله على غاية من الشدة لا توصف»([1]).

على أنه ينبغي التنبيه من خلال الاستعراض لمظاهر قوة جبريل عليه السلام الخلقية أن هذه الخلقة العظيمة التي هيأه الله -تعالى ذكره- بها تحمل في طياتها تهيئته بحمل الأجهزة التكوينية المناسبة لحفظ كلام الجبار عز وجل **عند استماعه، ثم نقله له كما هو إلى النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **بالسرعة المطلوبة في الوقت المعين.**

المطلب الثاني: صفاته عليه السلام من حيث سجاياه الخُلُقية:

الصفة الأولى: كريم:

كما في قوله عز وجل ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير/ 19]، وهي صفة تقتضي نفي المذام كلها، وإثبات صفات المدح اللائقة به([2])، وفي تفسيرها يقولالآلوسي -رحمه الله تعالى-: «عزيز على الله سبحانه وتعالى»([3])، وقال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «ملك حسن الخلق بهي المنظر»[4]، وفي التحرير والتنوير في معنى كريم أنه: «النفيس في نوعه»[5].

---

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي 19/ 44، 1413هـ، 1992م.

(2) البحر المحيط 8/ 434.

(3) روح المعاني 30/ 104.

(4) ابن كثير4/ 409.

(5) انظر: التحرير والتنوير30/ 153.

الصفة الثانية: ذو قوة:

«أي شديد، وقيل: المراد القوة في أداء طاعة اللهعز وجل، وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف، وقيل: لا يبعد أن يكون المراد قوة الحفظ، والبعد عن النسيان، والخلط»[1].

ولا يستبعد شمول وصف ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ [التكوير/ 20] لذلك كله؛ إذ يقتضي ذلك إطلاقُها، وعدم تقييد النكرة ﴿ قُوَّةٍ﴾ بشيء! بل ذلك هو الأظهر، **ويُستظْهَرُ هذا المعنيحتى يصير في حيز الحقيقة المقررة:** بمجيء كلمة (قوة) مجموعة في قوله عز وجل ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم/ 5]، فما كُلِّف به من أمر غير عاجز[2].

ويدخل في هذه القوة دخولاً أولياً:

أ- **قوة الحفظ.**

ب- **وقوة الوصول إلى الرسول من البشرفهو يهبط من السماء إلى الأرض، ثم يصعد في أسرع من رد الطرف»**[3].

ج- **وتلطف المجيء،** له بما يحتاج من خصال يحتاجها الملك، ليعوض بها ضعف البشر عن إدراك الملأ الغيبي؛ لذا قال الشوكاني: «ذي قوة شديدة في القيام بما كلف به»[4].

---

(1) روح المعاني 30/ 104.

(2) انظر: تفسير الطبري 30/ 80.

(3) حاشية الصاوي 4/ 389.

(4) فتح القدير 5/ 481.

الصفة الثالثة: ﴿مُّطَاعٍ﴾ [التكوير/ 21]:

فهو مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون عن أمره، وهو مؤكد لحقيقة ائتمارهم بأمره، ومن أسباب ذلك أنه أمين الوحي في السماء لأهل السماء.

الصفة الرابعة: ﴿أَمِينٍ﴾ [التكوير/ 21]:

فهو أمين الأمانة التي تقتضي القيام **بالتبليغ الذي يصل إلى درجة من الدقة حتى في هيئات الألفاظ الداخلية والخارجية**، وقد اتخذت هذه الأمانة طابعين:

أ- طابع العموم في كل ما أؤتمن عليه: قال الطبري: «أمين عند الله على وحيه، ورسالته، وغير ذلك مما ائتمنه عليه»[1].

ب- طابع الدقة والتفصيل: إذ يتسع أُفق فهمها ليشمل هيئات الألفاظ الداخلية فذلك مقتضى الإطلاق في وصفه بالأمانة هنا.

وأمانته من حيث الأصالة تتسم بسمتين:

فهي ملكةٌ دائمةٌ ثابتةٌ، وسجيةٌ متجددةٌ: **إذ الأمين هو الذي يحفظ ما عُهِدَ له به حتى يؤديه دون نقص، ولا تغيير.**

وأمين (فعيل) إما بمعنى مفعول: أي مأمون من أمنته على كذا، وإما صفة مشبهة من أمُن بضم الميم، إذا صارت الأمانة سجيته[2].

---

(1) تفسير الطبري30/ 80.

(2) التحرير والتنوير 30/ 157، وكذا روح المعاني30/ 104.

وسر الإتيان بقوله تعالى﴿ثَمَّ﴾ بين هاتين الصفتين (مطاع، أمين) في قوله عز وجل ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾: أن ﴿ثَمَّ﴾ ظرف مكان للبعيد، والمراد أنه موصوف بذلك في السماء، **وهو يوحي بلزوم اكتفائكم بهذه الأوصاف المطمئنة القاذفة لليقين بسلامة الرسالة، ودقتها، وأنها كما أرادها الله عز وجل، وكما قالها** فهي قرآن لم تطرأ عليها بارقة تغيير من أحد من المخلوقين؛ إذ الكلام عن غيب ما أدراكم به أنتم؟ فلتسمعوا وصفه من مرسله، وخالقه، وحسبكم أنه بهذه المكانة في ذلك المكان الأعلى، ولو شاء الله عز وجل ما تلا عليكم ما أُمر بتبليغه، ولذا قال الآلوسي: «والمقام يقتضي تعظيم الأمانة؛ لأن دفع كون القرآن افتراء منوط بأمانة الرسول»[1].

ولهذه الأمانة مقتضاها العملي الهام في جهتين:

-**جهة في ذاته**: بأن يكون في أعلى درجات الخشية لله تعالى، والمراقبة له: وهذه وإن كانت سجية دائمة ملازمة للملك من حيث هو ملك، إلا أنها في جبريلعليه السلام ظاهرة التميز، فعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريلعليه السلام كالحلس البالي من خشية الله تعالى)[2].

-**جهة في غيره**: وهو أن يكون جبريلعليه السلام إذ اتصف بها: مقبول القول، يصدق فيما يقول، **مؤدياً لما أؤتمن عليه أحسن الأداء، وأدقه.**

الصفة الخامسة: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير/ 20]:

---

(1) روح المعاني30/ 105.

(2) رواه الطبراني في الأوسط 2/ 134، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 5864.

أي هو ذو مكانة رفيعة عند الله العظيم جل جلاله، فـ ﴿مَكِينٍ﴾(فعيل) من مكن إذا علت رتبته عند غيره، يعني هو ليس من أفناد الملائكة، بل هو من السادة الأشراف.

ومما يُتَفَطَن للتأمل فيه في قوله عز وجل في وصف جبريل عليه السلام : ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير/ 20]: تَوَسُطُ ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ بين ﴿ذِى قُوَّةٍ ﴾ و﴿مَكِينٍ﴾، **وسر ذلك**: ليتنازعه كلا الوصفين على وجه الإيجاز، أي هو ذو قوة عند الله عز وجل، وهو ذو مكانة عند الله وزلفى.

الصفة السادسة: حكيم عليم:

كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل / 6]؛ إذ قيل بأنها نعتٌ لجبريل عليه السلام فالمعلم المُلْقِي لا يلقي شيئاً إلا بعلمه.

المبحث الثاني: أمين الوحي في السماء لأهل السماء

وتلك من أسباب جدارته الفائقة لأمانة الوحي النازل لأهل الأرض .

فعن النواس بن سمعان ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن الله إذا أراد أن يأمر بأمر تكلم به، فإذا تكلم به أخذت السماء رجفة، أو قال رعدة شديدة فإذا سمع بذلك أهل السماء، [وفي رواية متداخلة بين البخاري وغيره: ضَرَبَتِ الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ يسمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ فيفزعون] صعقوا فيخرون سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلامفيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمر به جبريل عليه السلام على الملائكة، فكلما مر بسماء سألته ملائكتها: ماذا قال ربنا ؟.قال جبريلعليه السلام:قال ربكم الحق وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم كما قال جبريلعليه السلام،[وفي رواية:

وقرأ:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23][وعند ابن مردويه: (ما نزل جبريل بالوحي، فزع أهل السماء لانحطاطه، وسمعوا صوت الوحي، كأشد ما يكون من صوت الحديد على الصفا فيقولون: يا جبريل بما أمرت...) فينتهي جبريل عليه السلام بالوحي حيث أمر من سماء وأرض)[1].

فجبريل هو الذي ينقل الخبر لأهل السموات فيتناقلونه ويتعلمون من جبريل عليه السلام بدء الكلام عما في الوحي بالتسبيح والتمجيد كما في مسلم عن ابْن عَبَّاسٍ قَالَ أَخْبَرَنِى رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِىَ بِمِثْلِ هَذَا». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « فَإِنَّهَا لاَ يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ -قَالَ- فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمَوْنَ بِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ».

ومن الأمثلة التفصيلية الرائعة العظيمة لهذا الوحي السماويا جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب

(1) الطبراني في مسند الشاميين، وأصله عند البخاري وابن حبان.

فلاناً، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (إن العبد ليلتمس مرضاة الله، ولا يزال بذلك فيقول الله عز وجل لجبريل: إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه، فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع، ثم تهبط له إلى الأرض)[2]- اللهم اجعلنا فيهم ومعهم يا أرحم الراحمين-.

وقد لا يكون الوحي أمراً إلهياً لأحد من المخلوقين، بل هو حديث بين الجبار جل جلاله وبين جبريل عليه السلام ، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لما خلق الله الجنة، قال لجبريل: اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب، وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره، ثم قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب، وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد. -قال- فلما خلق الله النار، قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء. فقال: أي رب، وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل اذهب، فانظر إليها. فذهب، فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب وعزتك، لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها)[3].

---

(1) البخاري 3/ 1175.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل 5/ 279.

(3) ابن حبان 16/ 406، والمستدرك 1/ 79.

المبحث الثالث: اختيار جبريل عليه السلام ليكون الوسيط بين الله عز وجل ورسله

المطلب الأول: من حيث عموم الرسالات السماوية

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء/ 163]، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي: فقال له ورقة: (هذا الناموس الذي نزل الله على موسى)[1]، فقد قال البخاري في معناه: «الناموس صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره»[2]، وقال شارح الطحاوية في قوله عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء/ 194] «هو جبرائيل عليه السلام ، سمي روحاً لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين»[3].

وانفراده بذلك يدفع عاملاً خطيراً ومنطقياً من عوامل التشكيك في نقل كلام الله عز وجل، وقد أدرك الإمام السيوطي أهمية هذا المسألة، فألف رسالة بعنوان «لبس اليَلَب في الجواب عن إيراد أهل حلب»، قال: «لما وصل كتاب الأعلام إلى حلب -وقف عليه واقف فرأى فيه قولي أن جبريل عليه السلام **هو السفير** بين الله عز وجل وبين أنبيائه،

---

(1) البخاري 1/ 4 .

(2) البخاري 3/ 1241.

(3) شرح العقيدة الطحاوية 315.

لا يعرف ذلك لغيره، فكتب على الهامش، بل قد عرف ذلك لغيره من الملائكة، فأجاب فأجبت...الخ»[1].

المطلب الثاني: من حيث خصوص رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

قال الله عز وجل ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة/ 97]، وقوله عز وجل ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم/ 5]، **وقد كان جبريل عليه السلام معلم الدين أصولاً وفروعاً؛** فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (هذا جبريل عليه السلام يعلمكم دينكم)ثم ذكر مواقيت الصلاة[2]، ونحوه حديث جبريل عليه السلام المشهور عن عمر بن الخطاب عند البخاري ومسلم[3]، ومثله عن أبي هريرة ﷺ عند مسلم[4].

كما أن جبريلعليه السلام **هو واسطة النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **التعليمية الوحيدة إلى عالم الغيب**: فلا يتعرف على العالم الغيبي إلا بواسطة جبريل عليه السلام كعالم الملائكة، وعالم الجن:

---

(1) (حاجي خليفة) مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ت 1067هـ: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 2/ 1547، 1992م ـ 1413هـ، دار الكتب العلمية -بيروت.

(2) (البيهقي) أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (384هـ ـ ت458هـ): سنن البيهقي الكبرى، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، 1994م ـ1414هـ، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة.

(3) رواه البخاري 1/ 15، ومسلم 1/ 4.

(4) رواه مسلم 1/ 49.

فأما عالم الملائكة: فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث ذهابه إلى ثقيف: (فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)[1].

ومن ذلك **تعرفه على ملائكة السماء** وخزنتها في حادثة الإسراء فقد كانت واسطته هي جبريل عليه السلام.

وأما عالم الجن: فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الجن وهو مع جبريل عليه السلام وأنا معه، فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ، وجعل العفريت يدنو، ويزداد قرباً، فقال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا أعلمك كلمات تقولهن فيكب العفريت لوجهه، وتطفئ شعلته؟ قل أعوذ بوجه الله الكريم، وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر، ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، وما يخرج منها،

(1) البخاري 3/ 1180.

ومن فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن.فكب العفريت لوجهه وانطفأت شعلته)[1].

كما هو أيضاً واسطته إلى غيب خارج ذلك: فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أتاني جبريل عليه السلام فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي)[2].

من فوائد ذلك: حمايته صلى الله عليه وآله وسلم من أن يتطرق إليه الشك عندما يبلغه غير جبريل عليه السلام من الملائكة الوحي، فيلقي الشيطان أنه ليس ملكاً، وحمايته من الشياطين أن يفكروا بالتلبيس عليه[3].

المطلب الثالث: من حيث خصوص الخصوص:

أي من حيث كون جبريل عليه السلام هو المقرئ الوحيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الملائكة فعن ابن عباس رضي الله عنهما حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)[4].

---

(1) (النسائي) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت303 هـ: السنن الكبرى 6/ 237 مراجعة: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، 1411هـ/ 1991م دار الكتب العلمية ـ بيروت، وقد جاء في رواية: (علمنيهن جبريل وزعم أن عفريتاً يكيدني) .

(2) المستدرك 3/ 77.

(3) ونقل القاضي عياض الإجماع على عصمته صلى الله عليه وآله وسلم في الشفاء 2 / 141، ولكن ذلك إجماع يفتقر إلى المستند، فليكن ذا في طريق ذاك المستند.

(4) البخاري 4/ 1909.

ولأنه الملقي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم **ألفاظ لقرآن الكريم**: فقد باتت مسألة التلقي منه مصدر مرجعي بدهي في أوساط الأمة: يُرْجَعُ إلى طرقها عند الاختلاف، ويُحْتَجُ بثبوت النقل عنها عند التعليم، فعن الأعمش قال: سمعت الحجاج بن يوسف يقول وهو يخطب على المنبر: ألفوا القرآن كما ألفه جبريلعليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة، والسورة التي تذكر فيها النساء، والسورة التي يذكر فيها آل عمران، قال: فلقيت إبراهيم- النخعي، فأخبرته بقوله، فسبه، ثم قال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد أنه كان مع عبد الله بن مسعود، فأتى جمرة العقبة، فاستبطن الوادي، فاستعرضها، فرماها من بطن الوادي بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إن الناس يرمونها من فوقها، فقال: هذا - والذي لا إله غيره - مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة[1].

عداوة جبريل عليه السلام مقياس مطلق لعداوة الله ــتعالى ذكره-:

ولما سبق كان التشديد، والإفزاع الأكيد للعقل والعاطفة من مجرد التفكير في الكلام على جبريل عليه السلام، أو عدائه؛ إذصار مقياساً مطلقاً لعداوة الله ورسله وملائكته، ولذا كان قوله عز وجل ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة/ 98] عقب قولهعز وجل ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ﴾ [البقرة/ 97]، فعداوتهم لله عز وجل بمنزلة المقدمة الكبرى؛ لأنها العلة في المعنى عند التأمل، وعداوتهم لرسوله جبريل عليه السلام بمنزلة المقدمة الصغرى لأنها السبب الجزئي المثبت[2].

---

(1) رواه مسلم 2/ 942.

(2) انظر: التحرير والتنوير 1/ 623.

وقوله تعالى ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ لا يظهر فيها أن قوله ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ جواب الشرط، لما تقرر في علم العربية أن اسم الشرط لا بد أن يكون في الجواب ضمير يعود عليه، وقوله ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ ليس فيه ضمير يعود على من، وقد صرح بأنه جزاء للشرط الزمخشري وهو خطأ لما ذكرناه من عدم عود الضمير، ولمعنى فعل التنزيل، فلا يصح أن تكون الجملة جزاء، وإنما الجزاء محذوف لدلالة ما بعده عليه، والتقدير: فعداوته لا وجه لها، أو ما أشبه[1]، كذا قال أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ، ولو كان التقدير: فهو عدو لله أو فهو كافر بالوحي...لكان أظهر، وأولى، وأنسب لقوله ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ فأشار بأن إنزال الله جبريلعليه السلام بالقرآن قامعٌ لكل من تسول له نفسه عداوة جبريلعليه السلام.

وموضع الاستشهاد من هذا الإيراد ربط جبريلعليه السلام بإنزال القرآن الكريم، وقد ذكر عبارة ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ ، وهو ينصرف انصرافاً أولياً للقرآن الكريم، وجعل هذا كله خادماً للاطمئنان على نقل القرآن، وإيصال كلام الله إلى الأرض، وهو زاجر بالإشارة، وبصريح العبارة عن الطعن فيه بعد ذلك أيضاً.

إنه جبريل عليه السلام **...إنه القرآن الكريم...إنه رسول الله الأمين** صلى الله عليه وآله وسلم**...فأين أنت ياحافظ الذكر المبين؟**...

أيها الشادي بقرآن كريم! وهو في ركن من البيت مقيم
قم! وأبلغ نوره للعالمين قم! وأسمعه البرايا أجمعين
من له من ثروة الهادي نصيب فهو من جبريل في الدنيا قريب

(1) انظر:البحر المحيط 1/ 319.

الفصل الثاني: اتصال جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لتلقينه الوحي القرآني

ويتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تهيئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للوحي، والاتصالِ بالمَلَك

المبحث الثاني : إمكانية الاتصال المطلق بين جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

المبحث الثالث: هيئات مجيء الملك بالوحي القرآني (من حيث عموم الوحي)

المبحث الأول: تهيئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للوحي، والاتصالِ بالملك

اقتضت بشرية الرسول، وملكية الملك أن يُهَيأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإمكانية لقاء الرسول الملك في أي وقت، على أي حال.

وتمثلت هذه التهيئة في ستة مظاهر هي عبارة عن **ممهدات قيضها الله لنبيه** صلى الله عليه وآله وسلم:وممن صرح بأن ثمت ممهدات للوحي ابن حجر -رحمه الله تعالى- حيث قال: وبدئ بذلك ليكون تمهيداً، وتوطئة لليقظة ثم مهد له في اليقظة أيضاً برؤية الضوء، وسماع الصوت، وسلام الحجر[1]، ومن أهم مظاهر هذه التهيئة:

---

(1) فتح الباري 1/ 23.

أولاً: حادثة شق الصدر: وقد وقعت مرتين:

أما المرة الأولى: فعن أنس ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق قلبه فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه، وأعاده في مكانه[1].

وأما المرة الثانية عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ﷺ قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، وذكر يعني رجلاً بين الرجلين، فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيماناً، وأتيت **بدابة** أبيض دون البغل، وفوق الحمار يقال له: البراق فانطلقت مع جبريلحتى أتينا السماء الدنيا ...)[2] الحديث.

ومحصله إن الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك، والشق الثاني: كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة»[3].

ثانياً: ثم بدأ يتعدى القوى البشرية القاصرة: قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أصبع إلا ملك ساجد...) الحديث[4].

---

(1) مسلم 1/ 147.

(2) البخاري 3/ 1173.

(3) فتح الباري1/ 460.

(4) مسند أحمد 5/ 173، المستدرك 2/ 554.

ثالثاً: وكان جبريل عليه السلام **يأتيه في المنام**: كنوع من التدريج في اعتياد الطبيعة البشرية لرسول الله عليه السلام؛ ففي حديث عائشة ــ رضي الله تعالى عنها ــ في بدء الوحي قالت: أول ما بدئ به رسول الله الرؤيا[1].

رابعاً: الرؤيا الصادقة: فقد جاء في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-عند البخاري:(أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي الرؤيا الصالحةفكان لا يرى رؤيا إلا وقعت مثل فلق الصبح)[2].

خامساً: الآيات التي كانت تظهر له: مثل تسليم الحجر؛ كما ثبت عن جابر ابن سمرةرضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفهالآن)[3].

سادساً: التحنث: فقد جاء في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-: (ثم حبب إليه الخلاء فكان يتحنث في غار حراء...)[4].

والخلاء بالمد الخلوة، **والسر فيه أن الخلوة** فراغ القلب لما يتوجه له[5]. وقد فُسِرَ في الحديث معنى التحنث من بعض رواته، فقال: (وهو التعبد الليالي ذوات العدد).

وقد قيل في تأويل التحنث أنه من الحنفية إذ تبدل الثاء من الفاء كثيراً، أو من إلقاء الحنث وهو الإثم[6].

---

(1) البخاري 1/ 3.
(2) البخاري 1/ 3.
(3) مسلم 4/ 1782.
(4) البخاري 1/ 3.
(5) انظر: فتح الباري بشرح البخاري 1/ 13.
(6) انظر: فتح الباري بشرح البخاري 1/ 13.

وهكذا كانت التهيئة الإلهية لاتصال أمين الوحي في السماء عليه السلام **بأمين الوحي في الأرض**صلى الله عليه وآله وسلم **...وتمضي- هالات التعليم النورانية بين أشرف الخلق في السماء** عليه السلام، **وأشرف الخلق في الأرض والسماء** صلى الله عليه وآله وسلم ،لتَعلُّم وتعليم خير الكلام في الأرض والسماء:

محمد في فؤاد الغار مرتجفُ ... في كفه الدهر والتاريخ والصحفُ
مزمل في رداء الطهر، قد صعدت ... أنفاسه في ربوع الكون تأتلفُ
جبريل يروي لنا الآيات في حُلَلٍ ... من القداسات والأفلاك قد دلفوا
من السموات تهمي كل غادية ... على ديارٍ بنوها بالهدى شغفوا

المبحث الثاني: إمكانية الاتصال المطلق بين جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم

يدرس هذا المبحث مسألة الإطلاق في اتصال جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم زماناً ومكاناً، فلا يحول دون لقائه به حائل، وذلك حتى تطمئن قلوب المؤمنين بدقة تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن الكريم؛ **ومن سمات هذا الإطلاق:**

أولاً: الالتقاء الخفي، والكلام الخفي: فلا ضير في وجود بشر من حوله، أو عدم وجودهم لخفاء اتصاله، حيث كان مجيء جبريل عليه السلام دون أن يشعر به الناس، ومما يدل على ذلك ما في حديث ابن عباس ﷺ قال: كنت مع أبي عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده رجل يناجيه، وفي لفظ: وهو كالمعرض عن العباس ﷺ فخرجنا

من عنده، فقال: ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني؟، فقلت: إنه كان عنده رجل يناجيه، وفي لفظ: فقال: أو كان عنده أحد؟ قلت: نعم! قال: فرجع إليه، فقال: يا رسول الله! هل كان عندك أحد؟؛ فإن عبد الله أخبرني أن عندك رجلاً تناجيه. قال: (هل رأيته يا عبد الله ؟) قال: نعم! قال: (ذاك جبريل، وهو الذي شغلني عنك)[1]، وكما في حديث عائشة-رضي الله تعالى عنها-أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: (يا عائشة! هذا جبريل يقرأ عليك السلام) فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى تريد النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2].

ثانياً: وينادي ويكلمه دون أن يشعر أحد من حواليه غالباً سماعاً، كما هو رؤية: قال : (فإن جبريل أتاني حين رأيت، فناداني، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع، فتستغفرلهم...) الحديث[3].

فالأذن المعتادة لا تسمع جبريلعليه السلام، **والعين المعتادة لا تراه، وذلك لأنه يصل إلى مركز الإبصار، ومركز السمع مباشرة...ولهذا قال** صلى الله عليه وآله وسلم: **(هذا**

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل 1/ 293، وإنما لا يرى جبريل عليه السلاملأنه الروح، والروح: قال في النهاية: «ومنه الحديث الملائكة الرُّوحانِيُّون، يروي بضم الراء وفتحها، كأنه نسْبة إلى الرُّوح، أو الرَّوح وهو نسيم الرّيح، والألفُ والنونُ من زيادات النَّسَب، ويريد به أنهم أجسامٌ لَطيفةٌ لا يُدرِكها البصر، ومنه: حديث ضماد: «إني أعَالِجُ من هذه الأرْواح: الأرواحُ هاهنا كِنايةٌ عن الجنِّ، سُمُّوا أرْواحاً لكونهم لا يُرَوْن فهُم بمنزلة الأرْواحِ».

(2) البخاري 3/ 1177.

(3) مسلم 2/ 669.

جبريل جاء يعلمكم دينكم) فلما أراد جبريل عليه السلام أن يعلمهم كان لا بد من أن يتمثل لهم بشراً تدرك عيونهم صورته، وتدرك أسماعهم صوته.

ولا يستطيع البشر أن يروا الملك إلا إذا تمثل لهم بشراً، فقرر النووي (في حديث أم سلمة -رضي الله تعالى عنها- حيث رأت جبريل على صورة دحية): أن «فيه جواز رؤية البشر غير الأنبياء للملائكة، ووقوع ذلك، ويرونهم على صورة الآدميين؛ لأنهم لا يقوون على رؤيتهم على صورهم»[1].

ثالثاً: الإطلاق من حيث النداء والوقت: فعن أنس ﷺ قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كنت نائماً حيث رأيتم، فسمعت في نومي دوياً كدوي الرحى، أوهزيزاً كهزيز الرحى، ففزعت في منامي، فوثبت، فمضيت فاستقبلني جبريل فقال: يا محمد! إن الله عز وجل بعثني إليك الساعة لأخيرك، فاختر إما أن يدخل نصف أمتك الجنة، وإما الشفاعة يوم القيامة...) الحديث[2].

رابعاً: الإطلاق من حيث المكان: وكان يجيئه حيث كان عند اقتضاء المجيء، ووجود الأمر الإلهي بالنزول: فعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: دخلت المسجد فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خارجاً من المسجد، فاتبعته أمشي وراءه، ولا يشعر حتى دخل نخلاً، فاستقبل القبلة، فسجد فأطال السجود، وأنا وراءه حتى ظننت أن الله عز وجل قد توفاه فأقبلت أمشي حتى جئته فطأطأت رأسي أنظر في وجهه، فرفع رأسه، فقال: (ما لك يا عبد الرحمن؟) فقلت له: لما أطلت السجود يا رسول الله

(1) فتح الباري 4/ 235.
(2) المعجم الأوسط 2 / 233.

!خشيت أن يكون الله عز وجل قد توفى نفسك، فجئت أنظر، فقال:(إني لما دخلت النخل لقيت جبريل عليه السلام فقال:إني أبشرك أن الله عز وجل يقول: من سلم عليك سلمتُ عليه، ومن صلى عليك صليتُ عليه)[1].

وبعد : فلا إشكال ولا لبس في حدوث عملية الوحي بين عالم الملائكة متمثلاً بجبريل عليه السلام **وبين عالم البشر متمثلاً بالنبي** صلى الله عليه وآله وسلم **حتى تتلقف من قبل بعض الألسنة بالغمز أو اللمز...تلك كانت شنشنة المستكبرين من قبل إذ قالوا** ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾ [ص/ 8]**... فلقد رأينا في عصرنا صوراً من الوحي الخفي الذي يقع بين الناس بعد أن يتوافر فيه شرطان: وسيلة الإرسال المناسبة، ووسيلة الاستقبال الخاصة...فترى شخصاً في قرية أو مجتمع يتلقى المعلومات من شخص آخر بعيد، يملك جهاز الإرسال المناسب، فيسمعه بأدق ما يكون السماع ...ومن لا يملك جهاز الاستقبال بجواره لا يسمع شيئاً...بل يتعدى الأمر من السماع إلى الرؤية، فبواسطة الهاتف المرئي تستطيع أن تسمع بجهازك كما تستطيع أن ترى لكلام وصورة تبعد عنك آلاف الأميال وتحادثها ...فالشرط هو وجود جهاز الإرسال والاستقبال...فإذا كان هذا صنع الإنسان، وهو ما يزال يعد بالمزيد مستقبلاً...فإن الذهن يتقبل بتلقائية شديدة أن يكون خالق الإنسان قد زود المصطفين من رسله من الملائكة ومن الناس بما يمكنهم من الاتصال المباشر...وقد تقدمت مظاهر الإعداد الإلهي لجبريل** عليه السلام **في الفصل الأول ليكون أمين وحي الله**عز وجل، **كما سبقت آنفاً مظاهر من التهيئة الإلهية الخاصة للنبي الكريم** صلى الله عليه وآله وسلم

(1) سنن البيهقي الكبرى9/ 285.

فهي لمحات تبين أن الاتصال بين المستويين الفيزيائيَين لعالمي الملائكة والبشر أيسر ـ حتى ـ من الاتصال بين البشر والبشر.

ولذا فإن الاتصال المباشر بين مستويين من عالم الوجود الملائكي والبشري دون واسطة آلات لا شك يتطلب قدرة خاصة ليتم التلقي، وقدرة أخرى عند الاثنين (جبريلعليه السلام **والنبي** صلى الله عليه وآله وسلم**) ليتم الوحي ...ولذلك كنا نرى الآثار الشديدة للاتصال بينهما تظهر على الرسول** صلى الله عليه وآله وسلم **وهو يتلقى الوحي بعد أن هيأه الله لذلك الاتصال...**

المبحث الثالث: هيئات مجيء الملك بالوحي القرآني (من حيث عموم الوحي)

يرجعان إلى ما ورد في حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها-أن الحارث بنهشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهوأشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال وأحياناًيتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني، فأعي ما يقول) قالت عائشة-رضي الله تعالى عنها-:ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً[1]، وفي لفظ له: (كل ذاك: يأتي الملك أحياناً في مثل صلصلة الجرس...).

(1) البخاري 1/ 4.

قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «قوله: (كل ذلك يأتي الملك): أي كل ذلك حالتان»[1].

والمقتضى المنهجي لذلك: غرس الاطمئنان على دقة نقل الوحي القرآني من حيث مجيئه في صورة محسوسة، فلا لبس فيها أولاً، ولا يتطرق القادح إليها بسبب الخفاء ثانياً، بخلاف الإلهام في كل ذلك حيث يمكن ادعاء ذلك فيه لخفائه.

وقد آن أوان الخوض في المقصود الأساسي من البحث بعد هذه التهيئة، بيد أن كل ماسبق وما سيتلو مبينٌ لعالم الضباب والتيه اليوم كيف حفظ الله عز وجل كلامه من كل شوائب الدخل، أو لوامع الدخن، ليبقى هدى الحيارى في أزمنة استعار الضلال...

هدى سيبقى وما عشر وأربعة من الزمان سيبقى ما الزمان بقي

الله أنزله، والله حافظه، والله ينجي به الدنيا من الرهقِ

(1) فتح الباري 1/ 22.

الفصل الثالث : هيئة تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام

إننا ندلف إلى هالات موكبٍ تعليمي تتضآل الكلمات عن وصفه...يرسم لعوالم الاغتراب: أيُ شيءٍ كان قادة هذه الأمة، وأيُ نورٍ كانت هذه الأمة من بعد...

أنا قصة من بدر أرسلها الهدى محمد يرويها، وجبريل يكتب

وكعبتي الغراء بيتي وقبلتي وبستاني المعمور بالحب يثرب

سنحاول إعطاء صورة نموذجية واقعية لتلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن الكريم بأمر الله عز وجل من جبريل عليه السلام.

ويتكون من ثمانية مباحث:

المبحث الأول: كيفية نزول جبريل عليه السلام لإلقاء الوحي القرآني.

المبحث الثاني: الإلقاء إلى القلب ورؤيا الفؤاد.

المبحث الثالث: مظاهر اجتهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تلقي القرآن من جبريل عليه السلام قبل نزول التوقيف الإلهي.

المبحث الرابع: سمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلمحين نزول الوحي القرآني عليه.

المبحث الخامس: حديث المعالجة ودلالاته العامة.

المبحث السادس: التلقي (والتلقين) في التعلم النبوي القرآن تلقين وليس إلهاماً.

المبحث السابع: كيفية قراءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القرآن على جبريل عليه السلام من حيث الأمر الشرعي، والواقع التطبيقي.

المبحث الثامن: تحليل حديث المدارسة (المعارضة).

المبحث الأول: كيفية نزول جبريل عليه السلام لإلقاء الوحي القرآني[1]:

جل هذا الوصف في سورة النجم كما قال أبو السعود في تفسيره (5/ 43)، مرجع سابق: «في قوله تعالى ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ عطف على ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ بطريق التفسير، فإنه إلى قوله تعالى ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ بيان لكيفية التعليم»، فلما قال **عز وجل** ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم/ 4]، **استؤنف الكلام استئنافاً بيانياً، كأنه قيل: فكيف يأتيه هذا الوحي؟، ومن يأتيه به؟، وكيف يلقيه إليه فيعيه، ولا يفارقنا؟، وكيف يأتيه الوحي القرآني وهو كلام** الله عز وجل، **فيطيقه وهو بشر؟**، فقال الله عز وجل ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم/ 5].

فلنتتبع هذا الوصف القرآني[2] لتلقي جبريل عليه السلام الوحي القرآني من الله عز وجل[3]، وكيفية نزوله إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أولاً: يسمع من الله عز وجل **جبريل عليه السلام الوحي الذي ينزل به:** كما في حديث النواس بن سمعان السابق، وفيه (فينتهي جبريل إلى حيث أُمر من سماء أو أرض).

---

(1) المراد المجيء الخاص لأجل الوحي القرآني.

(2) ففيه كما قال في التحرير والتنوير (27/ 95): «تمثيل لأحوال عجيبة بأقرب ما يفهمه الناس؛ لقصد بيان إمكان تلقي الوحي عن الله تعالى؛ إذ كان المشركون يحيلونه، فبين لهم إمكان الوحي بوصف طريق الوحي إجمالاً وهذه كيفية من صور الوحي».

(3) وقد أعرض البحث عن الأقوال الواردة في كيفية تلقي الملك للوحي، لأنها محض تخمين في أمر غيبي، لا يظهر فيه للتحقيق العلمي أثر إلا بالتسليم لظاهر النصوص الدالة على السماع....

ثانياً: وهو معلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذي الصفات البالغة في قدرة حاملها على أداء هذه الرسالة على أتم وجه وأحسنه، فليس مُعَلِّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخلوقاً عادياً بل لقد علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم/ 5-6].

ثالثاً: عندما يريد الله **عز وجل** من جبريل عليه السلام الوصول إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتبليغه الوحي-إرادة أمر وإذن- فإنه يستعد للقيام بأمرالله، وهو بالأفق الأعلى، **فاستعداده هنا فعليٌ بعد أن كان استعداداً فطرياً**؛ ذلك بأن الأفق هو اسم للجو الذي يبدو للناظر ملتقى بين طرف منتهى النظر من الأرض وبين منتهى ما يلوح كالقبة الزرقاء، وغلب إطلاقه على ناحية بعيدة عن موطن القوم ومنه أفق المشرق وأفق المغرب،ووصفه بالأعلى ليفيد أنه من ناحية السماء[1]، ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي قام بعزيمة لتلقي رسالة الله عز وجل، ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم/ 7] أي قبل أن ينزل إلى العالم الأرضي[2].

رابعاً: ثم **يبدأ بالنزول بسرعة يعلم مقدارها** من أودع فيه القوة الهائلة لتبليغ الوحي القرآني إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان، فلا يبالي بمكانه في بيت أوفي فراش أو بين أصحابه أوفي جهاده ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم/ 8]، **أي** انخفض من علو

(1) وقيل هي رؤيته له بحراء قد سد الأفق . انظر: (أبو حيان) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي ت754 هـ: البحر المحيط 8/ 157، ط2 1411هـ - 1990م، دار إحياء التراث العربي- بيروت، وقوله ﴿دَنَا﴾ تبعد ذلك، وقيل فيها دنا: أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جبريل عليه السلام. انظر: تفسير أبي السعود 5/ 218، وواضح وهن هذا القول من حيث سياق الآيات، ومن حيث طبيعة قصة الإسراء.

(2) التحرير والتنوير 27/ 96.

قليلاً، أي ينـزل من طبقات إلى ما تحتها، كما يتدلى الشيء المعلق في الهواء بحيث لو رآه الرائي يحسبه متدلياً، وهو ينـزل إلى السماء غير منقضٍ»[1].

خامساً: يزداد اقترابه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم **حتى يصبح على مسافة قوسين** منه أو أدنى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم / 9] **إشارة إلى أن التقدير لا مبالغة فيه.**

وفي قوله عز وجل: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم/ 11]، **تأكيدٌ على أن القُرْبَ قرب حسي لا مجرد اتصال روحاني،**فعن مسروق قال: قلت لعائشة: فأين قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾؟. قالت: ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق[2].

المبحث الثاني: الإلقاء إلى القلب ورؤيا الفؤاد

وبناء على ما سبق فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى جبريل عليه السلام رؤيا حقيقية، لكنها رؤيا فؤاد كما أن العين ترى ضوءاً فترسل إشاراتها الضوئية إلى المخ فيتم وعيها في المخ...فهل كانت رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل عليه السلام تصل مباشرة إلى مركز الإبصار في المخ، كما أن استماعه لقراءته يصل إلى مركز السمع في المخ...والمخ متصل بالمركز العقلي المتحكم المسمى بالفؤاد...؟ قد يكون الأمر كذلك؛ إذ لو كانت رؤيا جارحة لرآها كل من له الجارحة ذاتها ممن يكون موجوداً مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكان تلقي الوحي، وقد يقال

(1) انظر: التحرير والتنوير 26/ 96.
(2) البخاري 3/ 1181.

باختلاف جارحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جارحة غيره، ولذا تمت تهيئته صلى الله عليه وآله وسلم لتلقي الوحي القرآني كما سبق في الفصل الثاني، ويُقَرِّبُ هذا: أننا نعلم أن الحيوانات تشترك في جارحة السمع والبصر مع تفاوتها في دقتهما، ومدى تركيزهما.

وبعد ذا القرب تكون مرحلة الإلقاء والتعليم: حيث يلقي الملَك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أمره الله عز وجل به أن يلقيه ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم/ 10]، وليس إلقاء الملَك من فمٍ إلى فمٍ فحسب، بل يلقيه على قلبه صلى الله عليه وآله وسلم... **كأن جبريل عليه السلام يصل رأساً إلى مركز السمع والبصر والوعي الكامل في الفؤاد...إذ إن جارحة البصر (العين)، وجارحة السمع (الأذن) ما هما إلا تحويل وترجمة لما يُشاهَد ويُسْمَعُ من العالم الخارجي إلى مراكز وعيها في الدماغ ومنه إلى المركز الأصلي للوعي (الفؤاد)...أما الملَك فيصل مباشرة بكلام مسموع، كما أن صورته تصل مباشرة إلى مركز الفؤاد، فيلقي بالوحي الإلهي على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويسمعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم سماع أذن وفؤاد بدليل تحريك لسانه بعد الملَك ــ وسيُفصَل ذلك في المبحث الذي بعد هذا إن شاء الله** عز وجل -، **في حين يرى الصحابة آثار ذلك من الشدة التي تعتري النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتي سموها (بُرحاء الوحي)**...فيلقي الملَك الوحي حال كون هذا المُلْقَى بلسان عربي مبين، **فيقرؤه جبريلعليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أمره الله** عز وجل **أن يقرأه؛ ولذا نسب الفعل إلى ذاته العلية سبحانه في قوله ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ مبالغة في التأكيد على أن ما قرأه جبريلعليه السلام هو اللفظ الذي أراد الله عز وجلأن يقرأه، وبالهيئة ذاتها التي أرادها** عز وجل، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حال قراءة جبريل

عليه السلام مطرق مستمع لا يحرك لسانه ــبعد تعليمه ذاك ــ حتى يقضي جبريل عليه السلام قراءة الوحي عليه، فإذا قضى انطلق جبريل عليه السلام، وقرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلمكما قرأه جبريل عليه السلام ، فلا يعترض معترض على هذا الموضع بالقول: إنا لا نراه يحرك لسانه ترديداً، إذ الإلقاء على قلبه، ومعلوم أن عدم تحريك لسانه كان بعد نزول سورة القيامة.

جبريل عليه السلام ليس ملكاً عادياً، بل هو الروحكما أن القرآن روح... فتجتمع الحياة الحقة منهما فما ظنك بروحٍ يُلَقِّنُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم روحاً،﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء/ 194]، **ويضاف إلى هذا أن قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلمقد نُزع منه حظ الشيطان، وتم إعداده إعداداً إلهياً، فلا مجال فيه لمانعٍ ذاتي يمنع أو يشوش على تلقي ألفاظ القرآن الكريم.**

الالتقاء:

ينخلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم **من صفته البشرية** عند رؤيته الملَك، وسماعه الوحي مع بقائه على خلقته البشرية، فالمراد انخلاع القوى الباطنة، لا الخلقة الظاهرة[1]، **فالرؤية والسماع يكونان من المركزين المباشرين للسمع والبصر في الفؤاد؛ إذ** ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم/ 11][2] ؛ ولذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يأتيه الوحي شديداً عنيفاً؛ **إذ يتوجب عليه بذل قُوى فوق الطاقة البشرية للسماع غير المعتاد**

(1) فلا يَرِدُ على هذا الكلام القول بالتناسخ، أو قدرة البشر على التشكل؛ إذ ذاك ليس لهم، ولا في إمكانهم، وينبغي أن يفسر كلام العلماء في هذا الموضوع بهذا التفسير؛ إذ إن بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خلقته البشرية آن نزول الوحي عليه ثابت تواتراً كما يُلاحظ ذلك في النصوص التي ترد في هذا البحث.

(2) وما علاقة ذلك بمركزي السمع والبصر الكائنين في الدماغ ؟، محل نظر وبحث بدأت بعض الإشارات العلمية بالتلميح إليها، والمستقبل واعد بمزيد تجلية لهذا الموضوع.

بشرياً، والرؤية غير المعتادة بشـرياً، والملكة القوية في الحفظ مما لا يعتاد بشـرياً، زيـادة في التأكيد على المحفوظ إذ كان ذلك من لوازم جمعه في صدره، وليتمكن من رؤية جبريـل عليه السلام وسماعه، وهو ما لا يراه من حوله، ولا يستطيعون سـماعه[1]، وعـبر عـن ذلك ابن خلدون-رحمه الله تعالى- فقال: «وصنفٌ مفطورٌ على الانسلاخ من البشـرية جملة، جسمانيتها وروحانيتها إلى الملائكة من الأفق الأعلى، ليصير في لمحة من اللمحات ملكاً بالفعل، ويحصل له شهود الملأ الأعلى في أفقهم، وسماعُ الكلام... [2].

- **وغير خافٍ أن المقتضى المنهجي هنا** يجب أن يتركـز في أن جهـود الحفـظ البشـرية الضخمة للقرآن الكـريم خـلال القـرون، المؤيـدة بالرعايـة الإلهيـة إنشـاء، وإعـداداً، وإمداداً، ومتابعة، يجب أن تساوي في وزنها وتركيزها هذه اللحظات التي يتلقـى فيهـا النبي صلى الله عليه وآله وسلم.وبعد ذلك يكون النـزول بالقرآن على قلب النبي صـلى الله عليه وآله وسلم.

---

(1) وقال الأصفهاني في أوائل تفسيره: «اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله عز وجل منـزل، ـإلى أن قال مبيناً أن الله عز وجل عَلَّم جبريلعليه السلام كيفية قراءة كلامه في السماء وهـو مـا سـبق في المباحـث الماضيةـ ثم جبريل عليه السلام أداه في الأرض وهو يهبط إلى المكان، وفي ذلك طريقتان:
إحداهما: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انخلع من صورة البشرية، إلى صورة الملكية، وأخذه من جبريـل عليه السلام، وثانيهما: أن الملك نخلع إلى البشرية حتى يأخـذه النبـي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم منـه، والأولى أصعب الحالين» فتح الباري 3/ 123، ولا شك أن الصورتين واردتان كما في حـديث الحـارث بن هشام المتقدم.
(2) في الأصل: الكلام النفساني...والبحث قائم على ما قرره محققو أهـل السـنة والجماعـة مـن أن الكـلام حقيقي لا نفساني دون تمثيل أو تشبيه.

النـزول على القلب [1]: إن إلقاء جبريل عليه السلام ألفاظ القرآن عـلى النبـي صـلى الله عليه وآله وسلم لا يكون خطاب فمٍ لفم، بل قراءة فمٍ على قلب ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، فـلا يكون ثم أي ضعفٍ للبشر، ولا نقـصٍ يتسـم بـه البشـر، ولا لجلجـةٍ تصـحب إدراك البشـر؛ إذ القراءة موجهة إلى مركز إدراك البشـر مباشرة، وهو المركـز الـذي نـزع منـه جبريل عليه السلام حظ الشيطان، وملئ حكمة.

وقال الآلوسي -رحمه الله تعالى-: «وكون الإنزال عليه؛ لأنه المدرك، والمكلـف دون الجسد، وقد يقال: لما كانت له صلى الله عليه وآله وسلم:جهتان: جهةٌ ملكيةٌ يسـتفيض بها، وجهة بشرية يفيض بها ـ جعل الإنزال على روحهصـلى الله عليـه وآلـه وسـلملأنها المتصفة بالصفات الملكية التي يستفيض بهـا مـن الـروح الأمـين، وللإشـارة إلى ذلـك قيل﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾»[2].

وتخصيصه بالإنزال عليه قيل: للإشارة إلى كمال تعقلـه صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم وفهمه ذلـك المنـزل، حيـث لم تعتـبر واسـطة في وصـوله إلى القلـب الـذي هـو محـل العقل...وقيل: للإشارة إلى صلاح قلبه صلى الله عليه وآله وسلم وتقدسه حيـث كـان مَنْـزِلاً لكلامه تعالى؛ ليعلم منه حال سائر أجزائه صلى الله عليه وآله وسلم، فإن القلب رئيس جميع الأعضاء، وملكها، ومتى صلح الملك صلحت الرعية»[3].

وقد فتح الله ــ تعالى ذكره- أذهان البشرية في عصرها الحاضر عـلى حقـائق علميـة ضخمة تقرب لنا سر نزول جبريل عليه السلام **بألفاظ القرآن على قلب النبي** صـلى الله

(1) أفرد بالعنونة لجلالته، وعظيم خطره.
(2) روح المعاني 19/ 181.
(3) روح المعاني19/ 182.

عليه وآله وسلم، **فإن جبريل** عليه السلام **تعدى أداة التوصيل السمعي لدى البشر وهي الأذن الخارجية إلى مركز السمع مباشرة، وأداة التوصيل البصري لدى البشر وهي العين الخارجية إلى مركز البصر مباشرة...ويزيد هذا تقريباً أن يقال: لما كان القلب يتلقى الصوت كما يرى الصورة في المنام...والجارحة المباشرة من عين وأذن نائمة مغطاة...ثم إذا استيقظ تذكر كله في اليقظة...وقد جاء التشريح الطبي مؤكداً حقيقة مراكز السمع والبصر، وأنها مراكز في المخ تعي ما يصل إليه عن طريق الجوارح كما تعي ما يصل إليها عن طريق الرؤى المنامية، وما قد كُشف يقرب لنا ما لم يكشف مما قد غاب عنا، وقد كانت أُولى مراحل الوحي التي هيأ بها النبي** صلى الله عليه وآله وسلم**لتلقي الوحي المباشر هي الرؤى المنامية الصادقة، ثم رؤيته للملَك في منامه، وحالة الوحي في النوم مقربةٌ لحالة الوحي في اليقظة...مما قد يقرب لنا فهم كيفية الوحي وحدوثه، واستيعاب كيفية تلقي النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **للوحي بواسطة الاتصال بعالم الملائكة ...بطريقة يرى الصحابة آثارها في النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **من تصبب العرق في اليوم الشديد البرد، وترجيع اللسان، وثقل جسم النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **دون أن تشاهد أبصارهم صورة الملك، أو تسمع آذانهم صوته...لأن الاتصال كان في مستوى لا يدركونه، ولكنهم يسمعون قرآناً معجزاً لا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد.**

ذكر حرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾ لبيان أن **الاستعلاء مستغرقٌ للملكية**، مهيمنٌ على المحل، فارضٌ لسلطانه، ولذا قال الصاوي ــ رحمه الله تعالى-: «عبر بـ﴿عَلَىٰ﴾ لتمكنه، وانصبابه، ورسوخه؛ فإن الشيء إذا صب من أعلى لأسفل رسخ وثبت»[1].

اشتمل النزول على قلبه صلى الله عليه وآله وسلم:

1. **على التحفيظ والتفهيم والتثبت**: كما قال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى-: «أي حَفَّظَكه، وفَهَّمَك إياه، وأثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله **عز وجل** ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾»[2].

2. **ولعل من أعظم أسرار** قوله تعالى ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، أن القرآن الكريم لا ينساه النبي صلى الله عليه وآله وسلم نسياناً كلياً كما روى ابن سعد من طريق أبي سلمة الماجشون أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: (كان الوحي يأتيني على نحوين: يأتيني به جبريل فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل فذلك ينفلت مني، ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي فذاك الذي لا يتفلت مني) وقال ابن حجر-رحمه الله تعالى-: «وهذا مرسل مع ثقة رجاله، فإن صح فهو محمول على ما كان قبل نزول قولهعز وجل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾، فإن الملَك قد تمثل رجلاً في صور كثيرة، ولم ينفلت منه ما أتاه به، كما في قصة مجيئه في صورة دحية، وفي صورة أعرابي، وغير ذلك، وكلها في الصحيح»[3].

---

(1) حاشية الصاوي 1/ 72.

(2) الكشاف3/ 126.

(3) فتح الباري 1/ 19.

3. **كما اشتمل النزول على قلبه** صلى الله عليه وآله وسلم **على اللفظ كما هو على المعنى تصريحاً لا تلويحاً**: كما قال الزمخشري:«ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك، دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروفٍ لا تفهم معانيها ولا تعيها» [1].

واستدل أبو حيان -رحمه الله تعالى- على أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم يسمع من جبريل عليه السلام الأحرف بقوله **عز وجل**: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء/ 195]، فقال: «الظاهر تعلق ﴿بِلِسَانٍ﴾ بـ ﴿نَزَلَ﴾، فكان يسمع من جبريل عليه السلام حروفاً عربية»، قال ابن عطية -رحمه الله تعالى-: «وهو القول الصحيح، وتكون صلصلة الجرس صفة لشدة الصوت، وتداخل حروفه، وعجلة مورده، وإغلاظه» [2]، وعندي أن الصلصلة تدل على شدة معاناة الخلقة البشرية لخروج الطاقة غير البشرية واستماعها لما هو فوق مألوفها.

اعلُ موكب الوحي على كل رائمٍ طمس النور بفمه ....اعلُ موكب الوحي..أو ما يكفي: جبريل عليه السلام **في قيادتك، ومحمد** صلى الله عليه وآله وسلم **في ريادتك؟..اعلُ موكب الوحي..يتراءى لنا خبرُك..حتى ترتفع أعلام الحب فداءً بالمهج...**

طرقتك زائرة، فحي خيالها ... بيضاء، تخلط بالحياء دلالها
قادت فؤادك، فاستقاد، وقبلها ... قاد القلوب إلى الصبا فأمالها
هل يطمسون من السماء نجومها ... بأكفهم؟ أم يسترون هلالها؟
أم يدفعون مقالة عن ربه؟ ... جبريل بلغها النبي فقالها

(1) الكشاف3/ 127، وانظر: تفسير القرطبي 13/ 138.
(2) تفسير ابن عطية 11/ 148.

المبحث الثالث: مظاهر اجتهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تلقي القرآن من جبريل عليه السلام قبل نزول التوقيف الإلهي

اجتهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تطبيق هيئات تمكنه من حفظ القرآن عند إلقاء الملك له، بيد أن جلالة الأمر، وعظمة قضية التلقي من السماء للأرض منعته من الاجتهاد حتى في مثل هذه الجزئية بل صار فعله توقيفياً، فلم يقر على اجتهاد، وبين له هيئة تلقيه، ولعل أهم حكم تأخير إنزال الأمر له بكيفية تلقي القرآن أن يعلم المسلمون من بعده ضرورة الوقوف عند التوقيف الإلهي في تلقي القرآن، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلمنُهي عن بعض اجتهاداته المخالفة للتوقيف الإلهي في طريقة التلقي فكيف غيره ؟.

فمن مظاهر اجتهاده الأولى:

المظهر الأول: تحريك اللسان بالقرآن قبل فراغ جبريل عليه السلام **منه**: وهو ظاهر آية سورة طه ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه/ 114]، وآيات سورة القيامة ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة/ 16] فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملَك في قراءته، ولهذا قالعز وجل ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ كما قال ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ﴾»[1].

المظهر الثاني: وهذه الحركة تأخذ طابع العجلة لاستذكار السابق ودراك اللاحق، وفي رواية لحديث ابن عباسرضي الله عنه في المعالجة: (كان رسول الله إذا نزل عليه الوحي يلقى منه شدة، وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفتيه، يتلقى أوله ويحرك به

(1) تفسير ابن كثير4/ 383.

شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره .. الحديث[1]، وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن: كان يحرك به لسانه يتذكره فقيل له: إنا سنحفظه عليك[2]، وللطبري من طريق الشعبي: (كان إذا نزل عليه عجل يتكلم به من حبه إياه).

المظهر الثالث: دراسته بحيث يشق عليه (وهذا أعم من السابق)كما قال الضحاك:»السبب أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم يخاف أن ينسى القرآن، فكان يدرسه متى غلب ذلك عليه وشق فنزلت»[3].

عند ذاك نزلت آيات سورة القيامة فقيل له﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل عليه السلام منه ﴿ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ أي بقراءته، وحفظه خوف أن ينفلت منه[4] فنُهِيَ عن اجتهاده، وبُيِّنَ له كيف يتلقى القرآن.

المبحث الرابع: سمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين نزول الوحي القرآني عليه

إذا كان المبحث السابق قد تحدث عن مظاهر اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلقي الوحي القرآني، وعن نهيه عن ذلك؛ فقد لزم معرفة سماته صلى الله عليه وآله وسلم حين تلقى الوحي القرآني، التي أبان بها عن خصائص التوقيف الإلهي في تلقي الوحي القرآني، وهو المراد من هذا المبحث.وهذه السمات تتلخص في الآتي:

---

(1)انظر: تفسير ابن كثير 4/ 450، وقد بحثت عن هذا النص بلفظه في مظانه من كتب الحديث فلم أجده، والألفاظ الأخرى تدل على معناه، وانظر فتح الباري 1/ 30.

(2) تفسير الطبري 28/ 188، وانظر: فتح الباري 8/ 682.

(3) البحر المحيط 8 / 387.

(4) تفسير الصاوي 45/ 353.

أولاً: تفريغ قلبه صلى الله عليه وآله وسلم **وحسه، وتخلية فكره إلا في المُتَلَقى**: ولذا كانت الغطة في أول نزول جبريل عليه السلام عليه، كما رواه البخاري، وفي النهاية في غريب الأثر: «في حديث المَبْعث: (فأخذَ جِبريلُ بحلْقي فسأَبني حتى أجْهَشْتُ بالبُكاء): السَّأْب العَصْر في الحَلْق كالخَنق ومثله غتت ففي حديث المَبْعَث (فأخذَني جبريل فَغَّتني حتَّى بلَغ مِنّي الجَهْد): الغَتُّ والغَطُّ سواء كأنه أراد عَصَرني عَصْراً شديداً حتى وجَدْت منه المَشقَّة كما يَجِد مَن يُغْمَس في الماء قَهراً»، وفي فتح الباري 1/ 10، مرجع سابق: «قوله (فغطنى) بغين معجمة وطاء مهملة وفي رواية الطبري بتاء مثناة من فوق كأنه أراد ضمنى وعصرني، والغط حبس النفس، ومنه غطة في الماء، أو أراد عمني ومنه الخنق، ولأبي داود الطيالسي في مسنده بسند حسن (فأخذ بحلقى)»

كما كان الوحي القرآني يأتيه في مثل صلصلة الجرس.

والحكمة في تقدم هذا الصوت الشديد: أن يقرع الوحي سمعه صلى الله عليه وآله وسلم فلا يبقى فيه مكان لغيره[1].

فقد كانت هذه الظاهرة الصوتية تدل على جلالة الخطب، وعظم الأمر، وتصاحب نزول الملَك وفعله القوي الشديد، وهي لا شك داعية إلى تفريغ القلب وانشغاله بما صاحبها دون غيره.

(1) فتح الباري 1/ 37.

ثانياً: المعاناة في تلقي الوحي:

يقول ابن حجر-رحمه الله تعالى-: «معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي لما فيه من مخالفة العادة، وهو كثرة العرق فإنه يشعر بوجود أمر طارئ على الطباع البشرية»[1]، على أن هذه المعاناة دليل حسي على إتمام عملية الوحي.

واتخذت هذه الشدة مظاهر متعددة، منها:

المظهر الأول: ما يؤدي إلى تغير ملامح وجهه: فعن عبادة بن الصامت:أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه[2].

المظهر الثاني: ومنها ما يؤدي إلى شعوره بشدةٍ في نَفْسِهِ ونَفَسِهِ حتى يظنه الموت، وهذا يذكر بحديث الغطة في أول الوحي: فعن عبد الله بن عمرورضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله! هل تحس بالوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (نعم أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحي إلى إلا ظننت أن نفسي تفيض)[3].

المظهر الثالث: ومنها ما يُخرِج ملامح جسده عن تأثير بيئته من حيث ظهور شدة الإجهاد عليه: فعن زيد بن ثابترضي الله عنه:(كان إذا نزل عليه الوحي ثقل لذلك، وتحدر جبينه عرقاً كأنه جمان، وإن كان في البرد)[4].

---

(1) انظر: فتح بشرح البخاري 1/ 30.

(2) مسلم 3/ 1316.

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل 2/ 222، وفيه: حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا قتيبة ثنا بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمروبن الوليد وقد تقرر في قواعد المصطلح قبول رواية قتيبة عن ابن لهيعة.

(4) رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 4793.

المظهر الرابع: ومنها ما يؤدي إلى ظهوره بمظهر تذلل العبد بياناً لضعفه: فعن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه:(كان إذا أنزل عليه الوحي نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم، فإذا أقلع عنه رفع رأسه)[1].

المظهر الخامس: بل يُؤَثِّر على ما لامسهصلى الله عليه وآله وسلم**من بشر أو حيوان:** فعن زيد بن ثابت رضي الله عنهقال: (كنت أكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان إذا نزل عليه أخذته بُرحاء[2] شديدة، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم سري عنه، فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف، أو كسرة، فأكتب، وهو يملي علي، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن، وحتى أقول لا أمشي على رجلي أبداً، فإذا فرغت، قال: (اقرأه)، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس[3]، وعند البيهقي: (وإن كان ليوحى إليه، وهو على ناقته فيضرب حزامها من ثقل ما يُوحى إليه)[4].

وعن عائشة -رضي الله تعالى عنها-: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلمكان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جِرانها، فلم تستطع أن تتحرك، وتلت قول اللهعز

---

(1) رواه مسلم 4/ 1817.

(2) في مختار الصحاح ص19، : «بُرَحاءُ الحمى وغيرها بالضم والمد شدة الأذى تقول منه بَرَّحَ به الأمر تَبْريحاً أي جهده».

(3) المعجم الأوسط 2/ 544.

(4) دلائل النبوة 3/ 4، وعند ابن سعد 1/ 197، من مراسيل عكرمة: (كان إذا أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقذ ـ أي ضعف وسكن ـ لذلك ساعة كهيئة السكران)، وعنده 1/ 197عن أبي أروى الدوسي قال: (رأيت الوحي ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلموإنه على راحلته فترغو وتفتل يديها، حتى أظن أن ذراعها تنقصم، فربما بركت، وربما قامت موتدة يديها حتى يسرى عنه من ثقل الوحي، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان).

وجل﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل/ 4][1]، وفي لفظ: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته لا تستطيع أن تتحول حتى سرَى عنه[2].

ولثقل الوحي ومعاناة النبي صلى الله عليه وآله وسلم **دلائل عدة من حيث موضوع البحث:**

فأولها: التأكيد على توثيق النص القرآني حال إنزاله، برفع مستوى النبي صلى الله عليه وآله وسلمعن المستوى البشري وهو ما يؤدي إلى غرس المُلْقَى إليه من القرآن الكريم في فؤاده غرساً، ونقشها في قلبه نقشاً.

وثانيها: وجود العلامة الحسية المشعرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلمبنزول الوحي، وهو ما يدفع تطرق التوهم إليه فيطمئن قلبه ـ بعد ـ إذا استيقن، ويدفع تطرق التوهم إلى غيره، فيعلمون سبل الاتصال الرسول الملَك والرسول البشر، فيغدو ما يستنكرونه من هذا الاتصال كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

وفي عصرنا يمكن للإنسان أن يسمع إنساناً، ويرى آخر عن طريق الهاتف المرئي دون أن يشترك معه غيره من المحيطين به في زمان التكلم والرؤية إذا توافر الجهاز المرسِل عند من يتكلم، والمستقبِل عند من يسمع ...وهكذا نقرر بأن الله ــتعالى ذكره- قد هيأ القدرة لجبريل عليه السلام **للاتصال برسوله** صلى الله عليه وآله وسلم ، **وهيأ الرسول**

---

(1) المستدرك على الصحيحين2/ 549، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» . وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح».

(2) (ابن راهويه) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي ت 238هـ: مسند إسحاق بن راهويه 2/ 254 مراجعة: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي 1412هـ ـ 1991م، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.

صلى الله عليه وآله وسلم **بمستقبلات لما يُوحى إليه تدرك آثارها، ولا ترى حقيقتها وكيفيتها**.

ورابعها: أن المقتضى المنهجي لهذه الشدة التي يعانيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند إنزال الوحي القرآني: أن يستشعر ذلك من يَحْفَظُ ألفاظ القرآن، ويُحَفِّظُها، ولا يتعامل مع لفظ القرآن بتساهلٍ يذهب بركة القرآن....

ثالثاً: تلقي الوحي القرآني تلقي استماع لصوت متكلم بأحرف: إذ الوحي القرآني ليس إلقاء محضاً فجائياً في النفس (كالإلهام)، بل حركة وصوت مقطع حرفاً حرفاً متتابع على هيئة التعليم، ويدل له صريحاً قوله عز وجل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة/ 16] ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه/ 114] ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم/ 5]، وفي لفظ للبيهقي لحديث الحارث ابن هشام (فيعلمني)[1]، وهي تطبيق واقعي لحقيقة ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم/ 5]، ويدل لها قوله في الرواية المشهورة (فيكلمني) وعند أحمد (فيخبرني)[2]، ولذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلميحرك شفتيه عند تلقي الوحي القرآني، وما ذاك إلا لمتابعة الحرف الحرف.

رابعاً: جمع القرآن في صدره صلى الله عليه وآله وسلم:إذ الوحي القرآني كله إنزال على القلب، ولما في قوله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 17] ولا ينافي ذلك أن تعليم جبريل عليه السلام هو إقراء لكلمات من حروف متتابعة.

---

(1) وقال ابن حجر في فتح الباري 1/ 18، : «هي تصحيف»، مع أنها لا تستبعد كما هو واضح.
(2) أحمد 6/ 163.

خامساً: ارتقاء القوى البشرية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لتسد كل ثغرة ضعف فيها عند التلقي حتى وقت الإبلاغ، كما قال تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 17] ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى/ 6]، وقد قال ابن حجر -رحمه الله تعالى- في قولهعز وجل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق/ 1]: «أي لا تقرؤه بقوتك، ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك وإعانته»[1].

سادساً: الاستماع والإنصات: وهذا متجلٍ في الأمر العام ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف/ 204]، فإن نوزع فيه فالأمر الخاص ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 18]، أي: فاستمع له وأنصت: كما في تفسير ابن عباسرضي الله عنه، ويجعله نصاً في هذه المسألة نهيه عن تحريك لسانه.

والفرق بين الاستماع والإنصات: أن الاستماع أخص من الإنصات؛ لأن الاستماع الإصغاء، والإنصات السكوت، ولا يلزم من السكوت الإصغاء[2]، فأصغوا ولا تتكلموا أثناء ذلك.

سابعاً: الوعي لما يقوله الملَك: وذا أمر قد تكفل الله به ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 17] ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى/ 6]، وحدد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إسقاطه الواقعي في قوله: (فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال).

---

(1) فتح الباري بشرح البخاري 1/ 35.

(2) فتح الباري شرح البخاري 8/ 683، ومثله: الديباج على مسلم 2/ 158.

وقوله: (وقد وعيت عنه) أي حفظت عنه أي أجده في قلبي مكشوفاً مُتَبَيَّناً بلا التباس، ولا إشكال[1].

ثامناً: استعداد الملكات النفسية في النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحفظ: حيث اقترن تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكمال الرغبة في الحفظ وحب المحفوظ، ففي رواية الطبري عن الشعبي: (عجل يتكلم من حبه إياه)، ولا تنافي بين محبته إياه والشدة التي تلحقه في ذلك، فأُمِرَ بأن ينصت حتى يقضي الله عز وجل وحيه، ووعد بأنه آمن من تفلته منه بالنسيان أو غيره، ونحوه قوله عز وجل ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه/ 114] أي بالقراءة[2]، **وعدم التنافي بين الحب والخوف** لأن الحب ولد الخوف فكان ما هو معلوم[3].

والمقتضى المنهجي لذلك: غرس الإجلال لحفظ القرآن في نفس المتقدم لحفظه من حيث شرف الحفظ، ومن حيث رهبة ادعاء الانتساب إلى زمرة الحفاظ إن لم يكن قائماً بالقرآن تقويماً لألفاظه، وقياماً بأحكامه، وتمثلاً لأخلاقه...[4].

ومازال حادي الشوق يأرز إلى الحرم المطهر والمسجد النبوي حيث آثار جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم...إذ ثم كان مركز تَعَلُّم ألفاظ القرآن الكريم من أمين الوحي في السماء عليه السلام لأمين الوحي في الأرض صلى الله عليه وآله وسلم...

---

(1) حاشية السندي على النسائي 2/ 150.

(2) انظر: فتح الباري بشرح البخاري 1/ 44، وانظر: تفسير القرطبي 19/ 106.

(3) تفسير الطبري29/ 187، وانظر: روح المعاني 29/ 243.

(4) إذ يُلاحَظ تساهلٌ بالغٌ في حفظ القرآن من قبل المتقدِّم له...فلا هيبة له، ولا إجلال يعتريه... لكأنما يشربه شربَ الماء، غيرَ مصطحبٍ معه في مسيرة حفظه حباً أو خوفاً.

مـــا لمطايانـــا تميـــل مالـــها؟ أظـــن رمـــلَ رامـــة بـــدا لهـــا[1]
لا تحســـبنَّ ميلـــها مـــن ملـــلٍ وإنـــما ســـكرُ الهـــوى أمالـــها
تجـــدُّ وجـــداً في الحُـــزون كلـــما تـــذكرت مـــن يثـــرب أطـــلالها[2]
وإن حـــدا الحـــادي بـــذكر طيبـــةٍ هيـــج ذكـــر طيـــبةٍ بَلبـــالها [3]
فشـــوقُها يـــدفعُها حتـــى تـــرى آمـــَالها هنـــاك، أو آجـــالها

المبحث الخامس: حديث المعالجة ودلالاته العامة

حديث المعالجة المشهور في تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام، حيث ظهر فيه اجتهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا التلقي قبل نزول التوقيف الإلهي، والتزامه بمفردات التوقيف الإلهي بعد ذلك، وقد دل هذا الحديث على دلالات هامة في مسألة تلقي القرآن من جبريل عليه السلام:

متن حديث المعالجة برواياته المختلفة:

عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعالج من التنزيل شدة [وفي المعجم الكبير: إذا نزل عليه القرآن تلقاه بلسانه وشفتيه] وكان مما يحرك به [لسانه و]شفتيه [وفي السنن

(1) رامة: موضع في البادية، وأراد به التكنية عن البلد التي هواها فؤاده، كما هوتها القلوب...وصَرَّحَ بأنها طيبة بعد.

(2) الحُزون: جمع حزْن، وهي ما غلظ من الأرض...يكني عن مشقة السفر.

(3) البَلْبال: شدَّة الهم والوَسْواس في الصدور وحديث النفس، فأَما البِلْبال، بالكسر، فمصدر انظر: لسان العرب 11/ 69.

الكبرى للنسائي مخافة أن يفلت منه] [فيشتد عليه وكان يعرف منه] فقال ابن عباس ﷺ: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباسرضي الله عنه يحركهما، فحرك شفتيه، فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ قال: جمعه له في صدرك وتقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾، قال: فاستمع له وأنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريلعليه السلام استمع [وأطرق]، فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلمكما قرأه [كما وعده الله][1]، وفي لفظ للبخاري: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه -ووصف سفيان يريد أن يحفظه- فأنزل الله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾، وفي لفظ له: فقيل له ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ يخشى أن ينفلت منه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أن نجمعه في صدرك، وقرآنه أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ يقول أنزل عليه ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ أن نبينه على لسانك، وفي السنن الكبرى للنسائي: إذا نزل القرآن عليه يعجل بقراءتها ليحفظه[2]، وفي لفظ: كان يعالج من ذلك شدة فأنزل الله **عز وجل** ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾يقول: لتعجل بأخذه، يقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ يقول: جمعه أن نجمعه في صدرك، وأن تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ فإذا أنزلناه، ﴿فَٱتَّبِعْ

(1) البخاري 1/ 6، والزيادات غير المعزوة هي للبخاري من طرق أخرى.

(2) ونحوه في: (الحميدي) أبو بكر عبد الله بن الزبير ت219هـ: مسند الحميدي، مراجعة: حبيب الرحمن الأعظمي، 1381هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

قُرْءَانَهُۥ﴾ يقول: فاستمع وأنصت، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: أن نبينه بلسانك فاستراح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

سبب المعاناة:

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعاني عند إنزال القرآن عليه، وتلقيه له من صوت المَلَك من مشكلة استيعاب قواه البشرية للفظه؛ إذ يخاف من ضعفها مع عظم المُنْزل، فيتعجل أخذه من المَلَك متلقياً إياه بلسانه وشفتيه[2]، لا لصعوبة حفظه؛ إذ هو من قوم اشتهروا بالحافظة المدهشة حتى أقاموها مقام الكتابة، **وإنما لعلمه أنه قد كُلِّفَ في حدود** ما تطيقه قواه البشرية؛ فيتنفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم -عند نزول الوحي عليه- جميع قواه خوفاً من التقصير.

فنُهِيَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن اتباع أساليبه الخاصة في تلقي القرآن وحفظه من العجلة بأخذه، وتحريك اللسان لأجل ذلك في موضعين من القرآن الكريم، هما موضعا طه والقيامة، وأُخبر أن هيئة تلقي القرآن توقيف، وليست اجتهاداً، وبُيِّن له الأساليب التي يتلقى بها القرآن، **وَوُعِدَ بثلاثة أمور (من حيث اللفظ** حيث أُمِرَ بذلك، وضُمِنَ له تحقيقه):

---

(1) المعجم الكبير 11/ 458.

(2) وفيه دليل على وجوب حفظ القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ لو كان يريد حفظ المعنى لما احتاج لبذل هذا الجهد، كما أن فيه دليلاً على أن القرآن ليس بإلهام.

الأمـر الأول: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَـا جَمْعَـهُۥ﴾: (حفـظ أصـل اللفـظ)أي **علينـا أن نجمعـه في صدرك** كما جاء عن ابن عباسرضي الله عنه[1]، وتأليفه كما رواه الطبري عن قتادة[2].

الأمر الثاني: ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: وقع في رواية الطبري في معناها: وتقرأه بعد[3].

﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ﴾: فإذا جمعناه وألفناه، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ لها معنيان:

1. أي ما جمع فيه، فاعمل بما أمرك، وانته عما نهاك الله[4].

2. فاستمع له وأنصت: «أي أنصت إلى قراءتنا»[5]، وقال الزمخشـري: «فكن مصغياً له فيه، ولا تراسله، **وطمئن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ؛ فنحن في ضمان تحفيظه**».

الأمر الثالث: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾:أي أن نبينه بلسانك[6] وتعمل به[7]، وقد صـح من رواية الشيخين وغيرهما وجماعة عن الحبر أنـه قـال في ذلـك:ثـم إن علينـا أن نبينـه بلسانك» [8].

---

(1) انظر: فتح الباري 8/ 637.

(2) تفسير الطبري 29/ 188.

(3) حاشية الصاوي بهامش تفسير الجلالين 4 / 353.

(4) البخاري 4/ 1770.

(5) التحرير والتنوير 29/ 349.

(6) وعند البخاري في خلق أفعال العباد84، : « أن نثبته على لسانك « ولا يعترض بأنه يحتمل أن يكـون قـد اعتراها التصحيف؛إذ قد ورد في قولـه تعـالى ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجـرات/ 6] القـراءة الأخـرى﴿فتثبتـوا﴾ والمعنى مرتبط بينهما؛ إذ التثبت ثمرة التبين.

(7) تفسير الطبري29/ 189.

(8) روح المعاني 29/ 244.

ففي هذه الآيات: تكفل الله له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له، ويفسره، ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته وبيانه في مخارج لفظه حق بيانه، والثالثة تفسيره، وإيضاح معناه[1].

وتلخيصاً للمعالم السابقة مع ما ورد في الفصل الأول يقال: انطلاقاً من قاعدتي الإثبات والنفي الحاصرتين المانعتين لأي تدخلٍ من الخلق في أداء كلام اللهعز وجل، وهما الوارتان في قوله ــ تعالى ذكره-:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر/ 9] إثباتاً، ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام/ 115] نفياً، **فإن الحفظ الإلهي للكتاب الكريم في عالم المخلوقين قد بدأت أدواته الواقعية بالتشكل مذ تكلم به الخالق ـ تعالى ذكره-: فقد اختار الله عز وجل حافظاً قوياً أميناً لنقل كلامه، وتعليمه للخلق بدقة متناهية، ونحن نعرف من وسائل العصر ما يتمكن به الإنسان من حفظ كلامه بلا تغير، بل بنفس المؤثرات التي تحف بكلامه...كالمُسَجِلة التي إذا وجهت رسالة بواسطتها لشخص، أمكنك أن تقول له: قد قلت لك كذا وكذا مع أنك قلته في وقت آخر، ومكان آخر...ولا تكون كاذباً بذلك، وإن كان لم يسمع منك مباشرة...بل سمع من المسجل، لكن المسجلة لدقة حفظها، وضبطها نقلت نقلاً أميناً ...ولله المثل الأعلى، فقد جعل الله ــتعالى ذكره-جبريل** عليه السلام **أميناً على الوحي قوياً على نقله لدرجة يكاد من دقتها أن يصح القول بأن الذي اقرأ النبي** صلى الله عليه وآله وسلم**هو الله ــ تعالى ذكره-، ولذا جاز نسبة إقراء جبريل** عليه السلام **النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **كلام الله إلى**

---

(1) انظر: (ابن كثير) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت774هـ: تفسير القرآن العظيم 4/ 383، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، أعد فهارسها: رياض عبد الله عبد الهادي ط1، 1417ـ 1997م، دار إحياء التراث العربيبيروت.

الله ـ تعالى ذكره- لشدة ضبطه وإتقانه ودقته...وهذا هو سر إسناد الفعل إلى الله في قوله عز وجل ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ **مع أن القائم به هو جبريل** عليه السلام**...فكانت قراءة جبريل**عليه السلام **مطابقة أمينة تماماً كما تلقاه عن الله ــ جل وعلا-.**

من فوائد حديث المعالجة [1]**: أن الحفظ للألفاظ مقدم على استلهام المعنى وبيانه**[2]، وهي القاعدة المستنتجة من قوله**عز وجل** ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، فليس المعنى سابقاً للحفظ، والمراد ليس إيجاد المعنى إذ هو قبل اللفظ في حيز العدم والخفاء، وليس المراد استحضاره في الذهن، وهو يدل من جهةٍ أخرى على أهمية ضبط اللفظ، لا على ما زُعِمَ من أن المعاني الأولية هي المقصودة بقطع النظر عن قالبها، وهي ما سمي أصولياً بالمعاني الثانوية[3]، ثم كانت هذه التسمية، وذا التقسيم سبباً في التهوين من الجانب اللفظي للكلمات...وبذا استبان غرور من ادعى سبق الاهتمام بالمعنى، وقد يُسَّلم في أن المعنى يسبق اللفظ من حيث الوجود النفسي، ولكن الكلام هنا عن معنى موجود في الخارج عُبّر عنه بلفظٍ...فأنّى له أن يُعرف دون عبور ممره الموصل إليه وهو اللفظ؟، وهذا هو حال ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ لا يُعرف المعنى الذي يُريده اللهعز وجل في كلامه إلا بمعرفة لفظه، ولفظه هو عز وجل لا لفظ غيره، وهذا على القول بأن﴿ثُمَّ﴾ في قولهعز وجل ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ للتراخي الزمني، إما على القول بأنها للتراخي الرتبي، فلا تنخرم القاعدة كلياً لكنها تعدل بحيث يقيد بيان المعنى بملازمة إتقان اللفظ إذ هو طريقه.

---

(1) عدا ما تقدم.

(2) وهو ما رجحه العلماء في فهم الآية كما سبق، على أن الترجيح فرع التضاد، ولا تضاد بحمد الله...

(3) واستنتج البعض هذا من فهم خاطئ لكلام الإمام الشاطبي في الموافقات 2/ 66، فإنه إنما مهد بكلامه ذاك عن مسألة الترجمة للقرآن.

ولعل هذا المعنى هو الذي يسوغ تعليم الصبيان ألفاظ القرآن، وتحفيظهم إياها، وإن لم يتقنوا معناها.

المبحث السادس: التلقي (والتلقين) في التعلُّم النبوي

القرآن ليس إلهاماًبل هو تعليم وتعلمٌ مباشر وليس إلهاماً:

فقد جاء في العقيدة الطحاوية عند قول الإمام الطحاوي-رحمه الله تعالى-: «نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين» قال الشارح: «تصريحٌ بتعليم جبرائيل إياه إبطالاً لتوهم القرامطة وغيرهم أنه تصوره في نفسه إلهاماً»[1].

ومن أدلة كون الوحي القرآني تلقيناً:

1. قوله عز وجل:﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل/ 6].

2. قوله عز وجل:﴿ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 18]؛ ففيها الأمر بالاستماع والانصات؛ إذ الاستماع والإنصات للملَك ينافي الإلهام الذي يقع في النفس دون استماع لأحد،ويُنظر المبحث السابق في معنى الآية.

3. قوله عز وجل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى/ 6]؛ إذ الإقراء ينافي الإلهام منافاة لغوية وشرعية.

4. **أول لقاء لجبريل**عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في غار حراء؛ إذ أقرأه ولم يُلْهِمْه، بل أكد له الإقراء بضمه إليه.

5. **حديث الحارث بن هشام** ؛ إذ حالتا الوحي المذكورتان تنافيان الإلهام.

---

(1) شرح الطحاوية 315.

6. ويدل على ذلك الباء في قوله عز وجل ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء/ 194] إذ هي: للملابسة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال، كأنه قال: نزل في حال ملابسة له على حد خرج زيد بثيابه[1]، ولو كان إلهاماً لما احتيج للنزول به.

7. حديثا المعالجة والمدارسة.

حكم التلقين:

يجب التزامه منهجاً وحيداً في تعليم ألفاظ القرآن الكريم، ونبذ ما سواه من حيث التقعيد العام[2]، ويؤكد هذا الحكم أسلوب أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن عن جبريلعليه السلام ؛ إذ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلمفي ابتداء الأمر إذا لقن القرآن نازع جبريل عليه السلام القراءة، ولم يصبر حتى يتمها مسارعة إلى الحفظ...قاله الحسن وغير واحد[3]، وقد جاء في رواية ابن أبي حاتم: **يتلقى أوله، ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره**، حتى وعده الله بما جاء في سورة القيامة، وإن كان الوعد إلهي كذلك: **فما فائدة إقراء جبريل**عليه السلام **له** ؟ أما كان كافياً جمع اللهعز وجل القرآن في صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلهاماً أو قذفاً إلى قلبه بالقدرة الإلهية التي وسعت كل شيء؟.

---

(1) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين 3/ 224.

(2) ولم يكن استدلال صاحب كتاب الحلقات القرآنية على وجوب التلقين وسيلة وحيدة في تعليم القرآن الكريم، وتعلمه موفقاً؛ إذ حصر الأمر في دائرة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) وذلك مما يُضْعفُ الحكم، ويجعل الاستدلال على أصل القضية مضيعاً لها . انظر: عبد المعطي محمد رياض طليمات: الحلقات القرآنية، دراسة منهجية شاملة، ط1، 1417هـ1997م، إصدار برنامج تحفيظ القرآن الكريمجدة .

(3) فتح الباري 8/ 633.

والجواب: هاهنا أعظم دليل على وجوب التزام منهج التلقي والتلقين كأساس للمنهجيات التعليمية في إقراء ألفاظ القرآن الكريم...فلا وزن لرسم «خط» المصحف، ولا للغة، ولا لتعلم فردي أحادي دون شيخ(سند)...في تلقي لفظ القرآن الكريم...ولو لم تكن هذه الحكمة، فما كان فائدة إلقاء جبريل عليه السلام القرآن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قراءتَه،ونزوله بالقرآن (على) ــ وليس في- قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ مع أن الإلهام لا يستدعي النزول.

ومنه نأخذ جلالة الركن الأعظم في تعلم القرآن وقبول قراءة لفظ لتعد قرآناً، **وهو السند المقبول قرائياً الضامن للمشافهة**.

وتظهر حكمةٌ بالغةٌ من التعبير عن قراءة جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ ﴿قَرَأْنَهُ﴾؛ إذ لم يقل قرأه جبريل عليه السلام، وذلك ليكون من قبيل إسناد ما هو للمأمور للآمر[1]، فقوله: «﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾ أي إذا قرأه جبريل عليه السلام عنا فأسندت القراءة إلى ضمير الجلالة على طريقة المجاز العقلي والقرنية واضحة»[2]...نفياً لأي حدسٍ، أو تخمينٍ، أو بارقةٍ تتلجلج في الصدور عن عدم إتقان جبريل عليه السلام للقراءة كما أرادها اللهعز وجل من حيث هيئاتها الصوتية المصاحبة (الداخلية والمشتركة)[3] فضلاً عن الألفاظ في ذاتها فأوجز لنا في ﴿قَرَأْنَهُ﴾ إخباره عز وجل بإزالة دخل شيطانٍ قد يطرأ عند تحليل الموقف القرآني بين جبريل عليه السلام

(1) حاشية الصاوي، وبهامشه تفسير الجلالين 3/ 354.

(2) انظر: التحرير والتنوير 29/ 349.

(3) المراد بالمشترَكة الصوت المصاحب للحرف عند التقائه حرفاً آخر في كلمته أوفي كلمة أخرى، كالإدغام مثلاً.

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان القارئ هو الله عز وجل بإسناد القراءة إليه...**ويُقَرِّبُ هذا بأن يقال: كأن أداء جبريل عليه السلام لألفاظ القرآن الكريم عبارة عن مسجلةٍ تعيد ما تكلم اللهعز وجلبه، وجبريل عليه السلام كأنه مسجل يعيد ما تكلم الله ــ تعالى ذكره- به...دون زلل أو خطل في أدق الهيئات الأدائية للحرف فيما خلا الصفة الإلهية المنزهة عن التمثيل والتخيل...فيقرأه جبريل عليه السلام كما نقله عن الله ـ تعالى ذكره- كما تنقل المسجلة، فجعل الله ـ تعالى ذكره- إقراء جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إقراء من الله ـ تعالى ذكره- لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم لشدة دقة جبريل عليه السلام في بيانه للأحرف؛ إذ هو الواسطة بين الله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقله كما أقرأه الله عز وجلله تماماً لكل حرف، وأحسن تفصيلاً لكل كلمة.**

وفي هذا يقول ابن كثير: «وأن ييسره على الوجه الذي ألقاه إليه»[1]، وقال الزمخشري:«جعل قراءة جبريل عليه السلام قراءته»[2]، وقال الآلوسي:«أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام المبلغ عنا»[3]، وفي المقابل **فقد ضمن الله عز وجل قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن كما أنزله الله عز وجل، وبالهيئة التي سمعها من جبريل عليه السلام**، ولذاقال ابن عباس ﷺ كما في البخاري: «فكان إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله **عز وجل**»[4].

---

(1) ابن كثير 4/ 383.

(2) الكشاف 4/ 165.

(3) روح المعاني 29/ 117.

(4) البخاري6/ 240.

قواعد التلقي والتلقين:

من خلال ما سبق يمكن إجمال قواعد التلقي والتلقين في:

القاعدة الأولى: قراءة الشيخ على الطالب، وهو ما كان جبريل عليه السلام يفعله مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم (السماع من لفظ الشيخ).

القاعدة الثانية: إنصات الطالب لشيخه عند استماعه قراءته، وهو ما أُمِرَ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

القاعدة الثالثة: استماع الطالب من شيخه، استماع أُذن وفؤاد، وهو ما أُمِرَ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

القاعدة الرابعة: إعادة الطالب المقروء الذي قرأه الشيخ على الطالب، وهو ما أُمِرَ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وهاهنا سؤال متعلق بهذه القاعدة:إذ نرى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يؤمر بإعادة المقروء كما قرأه الملك مع أن لا حاجة لذلك ما دام قد وعد بجمع القرآن في صدره وإجرائه على لسانه **فلم يكرره بعد استماعه للملك؟**.

والجواب: لتثبيت القاعدة الثالثة والرابعة من قواعد التلقي، وَلِمَ يكرره صلى الله عليه وآله وسلم إلا لتبيان أسلوب التلقي؟...ولرسم خطواته بدقة فائقة النظير تؤذن بتوقيفية تلقي اللفظ القرآني من جميع زواياه...وما ظن أنه اجتهاد فهو إلى التوقيف يعود في أصله...إذ التكرار لأمور منها: تثبيت تلاوة القرآن بالهيئة ذاتها، وتنغيماتِها التي

سُمِعَتْ من الشيخ، بغض النظر عن الصوت من حيث الملاحة ونقيضها، ومنها تثبيت المحفوظ أو المقروء.

القاعدة الخامسة: أن يكون المُعاد موافقاً لقراءة الشيخ ومطابقاً لها، والمراد من الموافقة: الموافقة في أصل الألفاظ وأدائها، وهو ما تراه عند عامة الناس من المقرئين والقارئين... **ويبقى تفاوتهم بعد ذلك من حيث الملاحة في الصوت، والاختلاف في العوامل النفسية إلى تؤدي إلى اختلاف المشاعر والأحاسيس، ويظهر أثرها في القراءة، وقد ترى أن هذه العوامل التي يسمح فيها الاجتهاد في أداء لفظ القرآن ليس مما كلف بها العبد عموماً إذ هي تعود إلى أمر خارج عن نطاق قدرته، وإن كان ثم قدرٌ من الحث على التزام مسلك معين في هذه الناحية: كتدبر القراءة، وقراءة القرآن بحزن.**

وهذا مأخوذ مما سبق في قول ابن عباس ﷺ: كما قرأه، ويدل له قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)[1].

القاعدة السادسة: أن يصحب القراءة تحريك للشفتين، وهو ما يعني نوعاً من الجهر بالقراءة، ويدل له فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في هذا الحديث؛ إذ النهي مؤقت حتى يقضي جبريل عليه السلام الوحي، فالإنكار عليه ليس لتحريك لسانه وشفتيه، بل لكون هذا التحريك حاصلاً حال قراءة جبريل عليه السلام ، فيبقى التحريك هو الأصل عندما ينتهي توقيت النهي، كما يدل له ما سيرد في المقتضيات

(1) السنن الكبرى للنسائي 5/ 71، سنن ابن ماجه 1/ 49، ابن حبان 15/ 543، الحاكم 2/ 247، مسند أحمد 4/ 278.

اللغوية لتعريف القرآن الكريم في مُلحق الكتاب، على أن التلقين لا يتأتى وجوده إلا بالجهر بالقرآن الكريم على ما هو بديهي.

وهل يشترط أداء هذه القواعد كلها في التلقي والتلقين ؟ الظاهر عدم الاشتراط للأول؛ إذا استبدل به قراءة الطالب على شيخه، إما ابتداء، وإما حفظاً مباشراً عن ظهر قلب، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرض القرآن على جبريلعليه السلام في رمضان، وأما قراءة جبريل عليه السلام في أول نزول الآيات فسببه عدم معرفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بها ابتداء؛ ولذلك عامل العلماء قراءة العالم معاملة عرض الطالب كما سيأتي تفصيله في حديث المعارضة، وقد يترجح أحدهما (السماع من لفظ الشيخ، أو عرض الطالب على الشيخ) لعارض يراه الشيخ في تلميذه من نجابة أو بلادة...**وهو المعمول به عند المسلمين إلى اليوم**.

وها هنا مسألة في غاية الأهمية من ناحية دراسة وسائل المعرفة المُكْسِبَة لليقين في المنهج الإسلامي وهي: أن ثَمَّ نوعاً من التواتر الذي يفيد اليقين الضروري أو النظري، **وهو التواتر العملي** بأن يتناقل المسلمون العمل في العبادة جيلاً جيلاً دون نكير، فيأخذ حكم المتواتر، ولو كان مستنده آحاداً كأركان الصلاة ومقادير الزكاة، وألفاظ الأذان، ورمي الجمار في مناسك الحج، وكثير من مثل ذلك...ووجود جزئياتٍ في هذا النوع مختلف فيها أمرٌ لا يخرم هذه القاعدة...فاضمم إلى هذه الأمثلة أداء القرآن تجده أولى منها جميعاً، من حيث ثبوت اليقينية له، وهذا تكرار لأمرٍ سبق ذكره في المنهج، أوجبه الاعتناء بالمقام، كما أن تفصيله ليس هنا.

المقتضى المنهجي لما سبق:

قرره الصاوي-رحمه الله تعالى- في قوله: «**والحكمة في تلقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام ظاهراً أنه يكون سنة متبعة لأمته، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشايخ، ولا يُفْلِح من أخذ العلم أو القرآن من السطور، بل التلقي له سر آخر**»[1]، وهذا أمر مقرر في أذهان المسلمين لم تَمِلْ دائرة تعليمهم عنه مثقال ذرة[2]، وهذا ما يعطي تصوراً عن مدى الواقعية الحقيقة قولهعز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر/ 9].

المبحث السابع: كيفية قراءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القرآن على جبريل عليه السلام من حيث الأمر الشرعي، والواقع التطبيقي[3]:

لِيُعَلَمَ أي عظمة كانتللنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأي شيء كان تعلمه لألفاظ القرآن الكريم، وتعليمه...وأي قوم ـ بعد ـ هم المسلمون:

أناسٌ علي الخير منهم، وجعفرٌ وحمزة، والسجاد ذو الثفناتِ

إذا افتخروا يوماً أتوا بمحمدٍ وجبريل، والقرآن، والسورات

---

(1) حاشية الصاوي 3/ 80.

(2) وقد أسهب في الكلام عن ذلك الإمام الشاطبي في الموافقات، المقدمة الثانية عشرة 1/ 91.

(3) أُريد بالأمر الشرعي: مجموع التوجيهات الشرعية التي أمر الله عز وجلنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بتطبيقها وأن يقرأ القرآن بها من حيث انتماؤها إلى الأحكام الخمسة، وأُريد بالواقع التطبيقي: واقع النبيصلى الله عليه وآله وسلم من حيث التزامه بتلك التوجيهات، والهدف من ذلك كما سيُذكر أعلاه التأكيد على التوقيفية في لفظ القرآن وأدائه، بالإضافة إلى الأهداف المنهجية الأخرى.

وقد تلخص ذلك فيما يلي:

أولاً: تبدأ باستشعار المصدرية الإلهية للقرآن الكريم دائماً عند قراءة القرآن الكريم: ويظهر أنموذج هذا في قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾، ثم قال بعد: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه/ 114] فأكد على المصدرية الإلهية في عدة ألفاظ: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ على الرغم من أن المباشر للإنزال هو جبريل عليه السلام، ﴿وَصَرَّفْنَا﴾، ﴿**نقضي**﴾ في قراءة يعقوب على الرغم من أن المباشر للقراءة هو جبريل عليه السلام، وأشار إلى تفرده بهبة المنح الإلهية، ورأسها القرآن الكريم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾، ثم وسط بين الآيتين بقوله ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ وهي جملة اعتراضية، وفي تفريع الجملة الاعتراضية على إنزال القرآن إشارةٌ أيضاً إلى أن القرآن قانون ذلك الملك، وأن ما جاء به هو السياسة الكاملة الضامنة صلاح أحوال متبعيه في الدنيا والآخرة[1]، وفي هذا السبيل ترى التعبير عن إنزال القرآن يرجع إلى هذه المصدرية عند الكلام على النازل، والمنزَل به، والمنزَل عليه.

ومن **الإشارة إلى هذه المصدرية**: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة/ 97].

ثم تتجلى هذه المصدرية في موقف تعليمه الإقراء في إضافة اسم إلى الاسم الظاهر (ربك) المضاف إلى الكاف، ثم تجلت تارة أخرى في قولهعز وجل ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ الثلاث الآيات كالاستئناف البياني، كأنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: وكيف اقرأ، ولست بقارئ ؟ فأجيب: **الذي علم القراءة بالقلم، يعلمك ما لم تعلم، ولا عجب**

(1) التحرير والتنوير 16/ 316، وراجع روح المعاني 16/ 391، والبحر المحيط لأبي حيان 6/ 281.

في أن تقرأ، إذ العلم يحصل بوسائل أخرى مثل الإملاء والتلقين والإلهام، وتأمل في وصفه عز وجل في هذا الموقف بالأكرم....

واستشعار المصدرية الإلهية للقرآن له مقتضياته الهامة، وفيما يتعلق بمدار البحث هنا تبرز المقتضيات التالية:

أ- يقذف في قلب الإنسان كل ما تصل إليه مشاعره الداخلية وانفعالاته العاطفية وحركات أركانه الخارجية من التعظيم لله عز وجل، وبذل الوسع في تحقيق كلامه، وقد نقل الآلوسي عن الطيبي ما يؤكد هذا من حيث اللفظ، فمما قاله: «﴿وَلَا تَعۡجَلۡ﴾ عطف على قوله عز وجل﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ لما فيه من إنشاء التعجب، فكأنه قيل: حيث نبهت على عظمة جلالة المنزِل، وأرشدت إلى فخامة المنزَل، **فعَظِّمْ جنابه الملك الحق المتصرف في الملك والملكوت، واقبل بكلك على تحفظ كتابه، وتحقق مبانيه، ولا تعجل به**»[1]، وقال سيد قطب:»**فتعالى الله الملك الحق الذي تعنو له الوجوه، ويخيب في حضرته الظالمون، ويأمن في ظله المؤمنون الصالحون، هو منزِل هذا القرآن من عليائه، فلا يعجل به لسانك**، فقد أنزل القرآن لحكمة ولن يضيعه، إنما عليك أن تدعو ربك ليزيدك من العلم، وأنت مطمئن إلى ما يعطيك، لا تخشى عليه الذهاب، وما العلم إلا ما يعلمه الله؛ فهو الباقي الذي ينفع ولا يضيع، ويثمر ولا يخيب»[2].

ب- استمداد العون والتوفيق في تحقيق لفظه، وإتقان مبناه[3]، وعدم نِسيِّه أو تفلته من قائله عز وجل.

---

(1) روح المعاني 16/ 393.

(2) في ظلال القرآن 4/ 2353.

(3) لم يُتكلم عن المعنى؛ إذ ليس مدار البحث، كما سبق.

كان ذلك فحوى الأمر الإلهي.

والصورة التطبيقية لهذا قبل التوقيف القرآني على هيئة تلقي القرآن لاستشعار هذه المصدرية: تعجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزول القرآن واستكثاره منه، ولذا قال صاحب التحرير والتنوير:«لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً على صلاح الأمة شديد الاهتمام بنجاتهم؛ لا جرم خطرت بقلبه الشريف عقب سماع تلك الآيات رغبةً، أو طلبةً في الإكثار من نزول القرآن، وفي التعجيل به إسراعاً بعظة الناس وصلاحهم، فعلمه اللهعز وجل أن يكل الأمر إليه»[1].

والصورة التطبيقية بعد التوقيف القرآني على هيئة تلقي القرآن: هو استراحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2] من خوف تفلت القرآن منه صلى الله عليه وآله وسلم بعد تكفل اللهعز وجل بعدم ذلك، والإكثار من دعاء ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا.

ثانياً: الاستماع والإطراق عند تلاوة جبريل عليه السلام عليه: وذلك تنفيذاً لقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة/ 18] على ما تقدم.

والصورة التطبيقية لذلك ما قاله ابن عباسرضي الله عنه :فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع [وأطرق].

ثالثاً: ترديد القرآن بعد انتهاء جبريل عليه السلام من قراءته، ليطمئن القلب بتحفظه: وهو صريح في الأمر القرآني، والوعدالإلهي ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ كما تقدم، وقال الزمخشري –رحمه الله تعالى– في قولهعز وجل ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ

(1) التحرير والتنوير 19/ 316، ونقل الآلوسي ـرحمه الله تعالىـ نحوه عن الماوردي.
(2) كما عبر ابن عباس في حديث المعالجة.

أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه/ 114]:«لما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد: «وإذا لقنك جبريلعليه السلامما يُوحى إليك من القرآن، فتأنَّ عليه ريثما يسمعك ويفهمك، ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك، ولاتكن قراءتك مساوقةً لقراءته، ونحوه قولهعز وجل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾»[1].

والصورة التطبيقية لذلك ما وصفه ابن عباسرضي الله عنه في حديث المعالجة: فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قرأه.

رابعاً: تحريك فمه وشفتيه عند الحفظ أو القراءة: وهذا مأخوذٌ من منطوق آيات القيامة، ومن مفهوم حديث المعالجة وقد مضى، ومن الحديث الآتي في الجهر بالقرآن.

خامساً: (الترتيل)[2] **تبيين الحروف**: التَّرْتِيلُ، في القراءة الترسل فيها، والتبيين بغير بغي[3]، وقد عرفه مجاهد بقوله في قوله عز وجل:﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ قال: «بعضه أثر بعض على تؤدة»[4]، وعن قتادة قال: «بينه بياناً»[5].

فالترتيل يتضمن عنصرين يشكلان ماهيته الذاتية، هما: التأني (التؤدة)، وتبيين الحروف وهما متلازمان، **وهما يقتضيان أمراً ثالثاً**: هو إشباع الحركات، **ويستلزم الترتيل أمراً رابعاً** هو: السكينة والوقار التي تميز قارئ القرآن عن مطرب الألحان، فاجتمعت في الترتيل أربع متضَمَنات: التأني والتؤدة، وتبيين الحروف، وإشباع الحركات،

---

(1) الكشاف 2/ 488.

(2) حكم الترتيل، وتحليل عناصره الذاتية والطارئة ليس من ميدان البحث، ولذا لن يكون توسع في ذلك.

(3) مختار الصحاح ص98.

(4) رواه الطبري قال ابن حجرـرحمه الله تعالى ـ في فتح الباري شرح البخاري 9/ 89، : «بسند صحيح».

(5) تفسير الطبري 28/ 127.

والسكينة والوقار[1]، وقال ابن حجر: «قوله عز وجل :﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ **أي اقرأه مترسلاً بتبيين الحروف، وإشباع الحركات**»[2].

وفي القرآن الكريم تذكر لنا صورة تطبيقية ملائكية[3] لمبدأ الترتيل في قول اللهعز وجل﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان/ 32] فهو خبر عن الملأ الأعلى، ولأن القراءة توقيفٌ؛ فإن هيئة قراءة القرآن يجب أن تتماثل، ولم يأخذها جبريلعليه السلام في الملأ الأعلى إلا عن الله عز وجل، فحكى الله عز وجل كيفية قراءة جبريل عليه السلام ثم أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقراءة القرآن على الهيئة ذاتها فقال عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ **وصلة ما بين خبر الملأ الأعلى، والأمر الإلهي الكريم مضمرٌ تدل عليه الأخبار الأخرى والتقدير**: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾، وذلك على نسق ما سمعته من جبريل عليه السلام إذ قد رتلناه على لسانه ترتيلاً، وفي أضواء البيان: «**هذه الآية نصٌ بترتيل القرآن ترتيلاً**، وأكد بالمصدر تأكيداً لإرادة هذا المعنى[4] كما قال ابن مسعود ﷺ:لا تنثروه نثر الدقل، ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»[5].

---

(1) وذا موضح التأصيل الشرعي لمراتب القراءة المعروفة في علم التجويد.

(2) فتح الباري شرح البخاري 3/ 23، وقال في 9/ 89: «تبيين حروفها والتأني في أدائها، ليكون أدعى إلى فهم معانيها ».

(3) واغتفرت النسبة إلى الجمع خوفاً من اللبس.

(4) واستدل صاحب التحرير والتنوير 29/ 316، : بالمصدر على تأكيد إرادة المعنى، وفي هذا رد على من يتوهم الترتيل هنا بمعنى التنجيم.

(5) أضواء البيان 8/ 610.

والصورة التطبيقية لذلك: ما وصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلام نبي اللهعز وجل حيث كان يرتل كلامه، ويترسل فيه فجابر بن عبد اللهرضي الله عنه يقول: (كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترتيل أوترسيل)[1]، وعن عائشة -رضي الله تعالى عنها-: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه لم يكن يسرد الحديث كسردكم)[2]، وأنكرتْ على أبي هريرة رضي الله عنه سرعة حديثه، وقالت: (ولو أدركته لرددت عليه)[3]، أي لأنكرتُ عليه، وبينتْ له أن الترتيل في التحديث أولى من السرد، فقولها «لم يكن يسرد الحديث كسردكم أي يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض لئلا يلتبس على المستمع، زاد الإسماعيلي من رواية بن المبارك عن يونس: (إنما كان حديث رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فصلاً فهماً تفهمه القلوب)»[4]، وقال في موضع آخر: «قولها (لو عده العاد لأحصاه) أي لوعد كلماته، أو مفرداته، أو حروفه لأطاق ذلك، وبلغ آخرها، والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم»[5].

وإذا كان ذا في حديثه المعتاد، فكيف في تلاوة كلام اللهعز وجل؟.

وتصف أم سلمة -رضي الله تعالى عنها- **الصورة التطبيقية** لترتيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم(بأن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت: بسم الله الرحمن

---

(1) سنن أبي داود 4/ 260، قال الشيخ الألباني: صحيح.
(2) البخاري 3/ 1307.
(3) البخاري 3/ 1307، مسلم 3/ 1940.
(4) فتح الباري شرح البخاري 6/ 579.
(5) فتح الباري شرح البخاري 6/ 578.

الرحيم الحمد لله رب العالمين يعني كلمة كلمة)[1]، وعن ابن أبي مليكة أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلمولا أعلمها إلا حفصة سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: (إنكم لاتطيقونها قالت: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ تعني الترتيل[2]، وقد صرح متتبعو سننه بأن الترتيل عادته في قراءته، ويقرنون ذلك بعادته في اعتدال أركانه في الصلاة[3]، قال ابن حجر-رحمه الله تعالى-: «ومن المعلوم من عادته صلى الله عليه وآله وسلمترتيل القراءة، وتعديل الأركان»[4].

وقد كان ترتيله صلى الله عليه وآله وسلم للسورة يصيرها أطول من أطول منها، **وهو الموافق لقراءة معتدلي قراء المسلمين في هذه الأيام**، فقد روى مسلم من حديث حفصة -رضي الله تعالى عنها- أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها[5].

وعن يعلى بن مملك: أنه سأل أم سلمة -رضي الله تعالى عنها- عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلاته، فقالت: (وما لكم وصلاته؟، كان يصلي وينام قدر

---

(1) سنن البيهقي الكبرى2/ 44.

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل 6/ 286.

(3) وفيه بيان ماهية الترتيل في عرفهم، وأنه ليس التنجيم الزمني.

(4) فتح الباري شرح البخاري 2/ 27.

(5) مسلم 6/ 3352، ولا مكان لما ادعاه ابن حبان ـ رحمه الله تعالى ـ أن الركعة الأولى من صلاة الظهر إنما طالت على الثانية بالزيادة في الترتيل فيها مع استواء المقروء فيهما، إذ ما الدليل على استواء المقروء؟وما الدليل على ترتيله في الأولى دون الثانية، مع أن عادته المستمرة هي الترتيل؟.

ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى، حتى يصبح)، ونعتت قراءته فإذا هي تنعت قراءته حرفاً حرفاً[1].

وفي معنى قولها(ثم نعتت قراءته) يقول السندي: «أي وصفت وبينت بالقول، أو بالفعل بأن قرأت كقراءته صلى الله عليه وآله وسلم. وقوله: (حرفاً حرفاً)، وقال أبو البقاء: نصبهما على الحال أي مرتلة»[2].

وقوله (حرفاً حرفاً) **يبين العلاقة بين أصل الوضع اللغوي والاستعمال العرفي لكلمة ترتيل.**

فالجواب: كان الأمر بالترتيل مبكراً على سنن نزول الوحي، فقد كان جملة ما نزل من القرآن حين نزول أوائل سورة المزمل سورتين أو ثلاث على أصح الأقوال[3]، ويشير قوله عز وجل فيها﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل/ 4] [4] إلى أن القرآن بادئ بالنزول، وهذه بدايةٌ إضافية لا حقيقية أوجب تقريرها الكثرة الكاثرة لما سينزل من الوحي بعدها مقارنة بما سبق...ولما كان جبريلعليه السلام هو المقرئ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلمما ينزل من القرآن، كما أنه الذي يعارضه به تعاهداً، ومراجعة، وتثبيتاً، فقد لزم أن يكون جبريلعليه السلام هو الذي يقرئه بالترتيل ابتداء، وهو ما صرح به في قوله عز وجل ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان/ 32].

---

(1) سنن أبي داود 2/ 73، وقال الألباني: « ضعيف ».

(2) حاشية السندي على النسائي 2/ 181.

(3) انظر: الإتقان 1/ 20.

(4) والقول الثقيل هو القرآن كما تقرر عند أئمة التفسير، انظر: التحرير والتنوير 29/ 260.

سابعاً: التغني بالقرآن، والجهر به: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي يتغنى[1] بالقرآن)، وقال صاحبٌ له:يريد يجهربه[2]، زاد في لفظ له: قال سفيان: تفسيره يستغني به[3]، وفي لفظ: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به)، وعن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يأذن الله لشيء إذنه لأذان المؤذنين، والصوت الحسن بالقرآن) [4]، وعند ابن حبان (ما أذن الله لشيء كأذنه للذي يتغنى بالقرآن يجهر به)[5].

والمعنى: «ما استمع الله لشيء كاسْتماعه لنبيتَغنَّى بالقرآن أي يْتلُوه يَجْهَربه»[6].

وقال أبوحاتم بن حبان: «قوله صلى الله عليه وآله وسلميتغنى بالقرآن يريد يتحزن به، وليس هذا من الغُنية، ولوكان ذلك من الغنية لقال (يتغانى به)، ولم يقل (يتغنى به)

---

(1) قال ابن حجر في الفتح 9/ 70، : «قال ابن الجوزي: اختلفوا في معنى قوله (يتغنى) على أربعة أقوال: أحدها: تحسين الصوت، والثاني: الاستغناء، والثالث: التحزن، قاله الشافعي، والرابع: التشاغل به، تقول العرب: تغني بالمكان أقام به، وفيه قول آخر حكاه ابن الأنباري في الزاهر قال: المراد التلذذ والاستحلاء له، كما يستلذ أهل الطرب بالغناء، فأطلق عليه تغنياً من حديث {أنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء}، وهو كقول لنابغة:

بكاء حمامة تدعو هديلاً مفجعةٍ على فَنَنٍ تغني،

أَطْلَق على صوتها غناءً؛ لأنه يطرب كما يطرب الغناء، وإن لم يكن غناء حقيقة».

(2) البخاري 4/ 1918.

(3) وفي سنن الدارمي 1/ 765، : وقال: «يريد به الاستغناء»، ولا شك في ضعف هذا الرأي إن أُريد به نفي الآخر، وليس المقام بمتسعٍ لتفصيل ذلك، فيُكتفَى بالإشارة العابرة أعلاه.

(4) المعجم الكبير 20/ 216.

(5) ابن حبان 3/ 30.

(6) النهاية في غريب الأثر 1/ 33.

وليس التحزن بالقرآن وطيب الصوت، وطاعة اللهوات بأنواع النغم بوفاق الوقاع، **ولكن التحزن بالقرآن** هو: أن يقارنه شيئان: الأسف والتلهف: الأسف على ما وقع من التقصير، والتلهف على ما يؤمل من التوقير، فإذا تألم القلب، وتوجع، وتحزن الصوت، ورَجَّع، بدر الجفنُ بالدموع، والقلب باللموع، فحينئذٍ يستلذ المتهجد بالمناجاة، ويفر من الخلق إلى وكر الخلوات، رجاء غفران السالف من الذنوب، والتجاوز عن الجنايات والعيوب، فنسأل الله التوفيق له»[1]، وواضحٌ أن هذه مرتبة فوق مرتبة الترتيل.

ثامناً: **الترجيع في القرآن**: هو تقارب ضروب الحركات في القراءة، وأصله الترديد، وترجيع الصوت: ترديده في الحلق[2].

والصورة التطبيقية لذلك: ما رواه معاوية بن قرة عن عبد الله بن المغفل المزنيرضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح – قال –: فرجع فيها، قال: ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغفل، وقال: لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي النبي صلى الله عليه وآله وسلمفقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه قال آ آ آ ثلاث مرات[3].

قال ابن حجر: «**والذي يظهر أن في الترجيع قدراً زائداً على الترتيل**، فعند ابن أبي داود من طريق أبي إسحاق عن علقمة قال: بت مع عبد الله بن مسعود في داره، فنام، ثم قام، فكان يقرأ قراءة الرجل في مسجد حيه لا يرفع صوته، ويسمع من حوله،

(1) ابن حبان 3/ 27.
(2) فتح الباري 9/ 92.
(3) البخاري 6/ 2742.

ويرتل، ولا يرجع»[1]، ويدل لهذا الكلام ما جاء عن أم هانئ ــرضي الله تعالى عنهاــ: كنت أسمع صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ وأنا نائمة على فراشي يُرَجِّعُ القرآن[2].

كما يدل هذا الحديث على أن الترجيع غالب فعله في تلاوة القرآن الكريم.

فقد تحصل من هذا أن أداء القرآن يستلزم: تحريك اللسان والشفتين(القراءة)، والترتيل، والتغني، والترجيع.

ويتضح مما سبق أن **أداء القرآن ينقسم إلى قسمين:**

أ- **الأداء الأصلي**، ويمثل الترتيل بعناصر حقيقته، وهو المسمى في علم التجويد: حق الحروف.

ب- **الأداء الفرعي**: ويمثل التغني والترجيع حقيقة، ويسمى في علم التجويد مستحق الحروف.

واللفظ يستحيل معناه بتغير الأداء الأصلي، أو تركه، وقد يحدث ذلك بترك الأداء الفرعي.

فالمراتب في أداء لفظ القرآن الكريم أربعة من حيث الماهية اللغوية، والمدلول الشرعي (وترجع هيئات الترتيل من تحقيقٍ، وحدرٍ، وتدويرٍ إليها):

---

(1) فتح الباري 9/ 92.

(2) (الطحاوي) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة 321هـ: شرح معاني الآثار 1/ 344، مراجعة محمد زهري النجار ـ ط1، 1410 هـ ــ 1990م، دار الكتب العلمية ــبيروت.

أ- **القراءة**: ولا تكون إلا بإخراج كل حرفٍ من مخرجه، وهي جنسٌ عامٌ للقرآن وغيره، وأصبحت القراءة تنصرف إلى قراءة القرآن عن ظهر قلبٍ عندهم، وهو المفهوم من كلمة (القرآن) أي المقروء من الصدر، في مقابل لفظ الكتاب أي المكتوب، ويقتضي هذا المفهوم أن يُقْرَأ من الصحف التي كُتِبَ فيها، أو من الصدور التي حُفظ فيها بالتلقي من الأفواه.

ب- **الترتيل**: وهو هيئةٌ خاصةٌ بالقرآن الكريم، فهو مرتبةٌ أعلى من القراءة، وعلى هذا فإن الترتيل يحتوي مراتب القراءة الثلاثة الشهيرة: التحقيق، والحدر، والتدوير بحسب تفاوت درجات الترتيل ليكون أحدها.

ج- **التغني**: وهو هيئةٌ خاصةٌ بالقرآن الكريم، فهو مرتبةٌ أعلى من الترتيل، ففيه تنغيمٌ للصوت على القواعد المتلقاة، فلا يَرِدُ عليه الغناء المعروف عند البشر.

د- **الترجيع**: وهو ترديدٌ للفظ المقروء المرتَل المُتَغنى به، أو زيادة تحبيره وتحسين أدائه بزيادة تحقيق المد ونحوه.

تاسعاً: مماثلة قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم**لقراءة جبريل** عليه السلام: ويدخل في ذلك مماثلة أصل اللفظ، وهيئة أدائه الداخلية.

والصورة التطبيقية لهذا عبر عنها ابن عباسرضي الله عنه بقوله: (فإذا انطلق جبريلعليه السلام قرأه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قرأه [كما وعده الله][1]، والضمير في قوله: ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ لجبريلعليه السلام والتقدير: فإذا انتهت قراءة جبريلعليه السلام فأقرأ أنت.

---

(1) البخاري 1/ 6.

عاشراً: قراءته صلى الله عليه وآله وسلم **على الناس كما أقرأه جبريل** عليه السلام **من حيث أصلُ اللفظ وأداؤه**: ويختلف عن البند السابق في أنه أخص منه مطلقاً من حيث أنه مأمورٌ بتلاوته على الناس لقوله عز وجل ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام/ 19]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ﴾ [النمل/ 91]، والسابق أعم من حيث أنه يقرؤه لنفسه أو للناس.

وإنما أُفْرِدت هذه النقطة بالذكر مع دخولها فيما سبق لأهميتها في إحداث اليقين القطعي بحقيقة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلمكان يقرأ ألفاظ كما أقرأه جبريل عليه السلام لا يَخْرِمُ منها حرفاً، ولا هيئةً لعموم قول ابن عباسرضي الله عنه:(كما أقرأه)، ولقولهعز وجل ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ﴾ [يونس/ 15].

فإذا اجتمع ــ كما سبق ــ:

1- **الأمر الإلهي الموجب اتباع هيئةٍ معينةٍ للنطق بالقرآن (الأداء)، وهو قوله** عز وجل﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل/ 4] **ونحوها.**

2- **والتطبيق الملائكي (جبريل)**عليه السلام **لذلك الأمر مبالغة في اتباع تلك الهيئة كما في قوله**عز وجل ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان/ 32] [(1)].

3- **والنص النبوي عليها (اقرأ وارق ورتل)[(2)]...ونحوه.**

---

(1) ويُلاحَظ بعين التأمل أن إيراد هذه الجملة كان أثناء حجاج الخصماء فيه، ليظهر بالغ أهميتها.

(2) ابن حبان 3/ 43، ؛ إذ مفهومه دال على مراد التقرير، وكأحاديث التغني بالقرآن.

4- **والتطبيقُ النبويُّ لها.**

5- **ودقة وصف الصحابة لتلك الهيئة.**

6- **مع تناقل هذه الهيئة عبر الأجيال...**

كانت النتيجة التلقائية لهذه المقدمات هي: التوقيفية المحضة في نقل هيئة أداء القرآن، كنقل أصل ألفاظه....

فإذا أُضيف إلى هذا: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه كما قرأه، وأن الصحابة حفظوه وكتبوه كما أقرأهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم...وأن حلقات الحفظ هذه قد توالت من الله ــجل وعلا- إلى رسوله من أهل السماء عليه السلام إلى رسوله من أهل الأرض صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إلى صحابة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم إلى الأمة باختلاف مكانها وزمانها...بأعلى درجات الحفظ والضبط...كما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقوم بالعرض اليومي للصحابة عند نزول القرآن، وفي الصلوات الجهرية، وفي نوافله الليلية التي كان يصل وردُه فيها إلى سدس القرآن الكريم في كل ليلة غالباً...فقد ضمن الله عز وجل للقرآن حفظه: كتابةً بالقلم، وأداءً بالصوت الذي حُفِظَتْ حروفه في أدق صفاتها ومخارجها من حيث مقاطعُ الأداء(أماكن الخروج) وما يصاحبه من غنةٍ، أو مدٍ، أو ترقيقٍ، أو تفخيمٍ، أو استعلاءٍ، أو استفالٍ...كما حُفِظَتْ أماكن الوقف والابتداء، والسكتات الواجبة والجائزة....

فحفظ الله ــتعالى ذكره- ألفاظ القرآن في هذه الأمة بالأدوات الواقعية الإنسانية التي تتسم بأعلى قواعد الحفظ، وأدق مقاييس الضبط.

أحد عشر: **تكرار المحفوظ**: ليرسخ فيه، فقد قال الزمخشري -رحمه الله تعالى: «فأمر أن يستنصت له، ملقياً إليه بقلبه وسمعه حتى يقضي إليه، ثم يقضيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه»[1].

اثنا عشر: تركيز المراجعة في قيام الليل:

فهو ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: «أثبت في الخير»، **وخاصٌ** فهو﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي:«أبلغ في الحفظ»[2].

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإن لم يقم به نسيه)[3] ومن أحق منه صلى الله عليه وآله وسلم بوصف صاحب القرآن؟.

---

(1) الكشاف 4/ 165، ومثله: أبو السعود 5/ 340.

(2) تفسير الطبري 29/ 170.

(3) رواه مسلم 1/ 536، عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، وقوله (لم يقم به) تحتمل معنى قيام الليل، وتحتمل معنى العمل به، وقد قال المباركفوري في معنى قول الصحابي يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أن لا أقوم بها): كما في تحفة الأحوذي 150/ 8: «أي في صلاة الليل»، انظر: (المباركفوري) أبو العُلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، ط 1، 1410هـ - 1990م، دار الكتب العلمية - بيروت.

ويؤكد هذا المعنى الحديث الذي وردت فيه هذه العبارة ما روى الترمذي 156/ 5 عن أبي هريرة ﷺ قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثاً، وهم نفر فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (ماذا معكم من القرآن ؟) فاستقرأهم، حتى مرَّ على رجلٍ منهم هو من أحدثهم سناً، فقال : (ماذا معك يا فلان ؟) قال: معي كذا، وكذا، وسورة البقرة . قال: (معك سورة البقرة؟) . قال: نعم!. قال: (اذهب، فأنت أميرهم) فقال رجلٌ -هو أشرفهم-: والذي كذا وكذا يا رسول الله !ما منعني أن لا أتعلم القرآن إلا خشيت أن لا أقوم به . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تعلم القرآن، واقرأه، وارقد، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه، وقام به كمثل جراب محشو مسكاً تفوح ريحه كل مكان، ومن تعلمه، فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكيء على مسك) حسنه الترمذي، وضعفه الألباني، وصححه ابن حبان، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على ابن حبان: «رجاله ثقات رجال الصحيح غير عطاء مولى أبي أحمد» .

بل كان يؤكد على المراجعة ببيان وسائل التدارك عند الفوات فعن عبد الرحمن ابن عبد القاري:قال سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من نام عن حزبه، أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل)[1]، وقد شمل قوله (حزبه) الصلاة والقرآن.

ثالث عشر: **التعاهد السنوي**: وذلك بمراجعة القرآن على جبريل عليه السلام سنوياً في كل رمضان، ويأتي تحليل هذا الموقف التعليمي، **وهذا هو الأصل الشرعي المنهجي في العرضة الثانية أو الثالثة** تأكيداً وتثبيتاً للمحفوظ، وهذا التعاهد غير التعاهد الدائم (المراجعة الدائمة)؛

وفي آخر هذا المبحث: فهل أتاك نبأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **إذ يتلقى ألفاظ القرآن الكريم؟، وجبريل** عليه السلام **إذ يعلمه لفظ القرآن المجيد؟... فيا حاديَ الشوق أشعل سُرُجَ العزيمة...وأمط عنا ـ بذاك ـ في الظلماء ذلَ الهزيمة....ويا رسول الله:**

قد كنت بدراً ونوراً يُستضاء به ... عليك تَنزِل من ذي العزة الكتبُ

وكان جبريل بالآيات يحضرنا ... فغاب عنا، وكلُ الشوق ينسكبُ

(1) مسلم 1/ 515.

المبحث الثامن: تحليل حديث المدارسة (المعارضة)

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس ﷺ قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في [وفي لفظ من] رمضان، حتى ينسلخ، [كان يلقاه في كل سنة في رمضان][1]، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم [2] القرآن،[فيدارسه القرآن][3]، فإذا لقيه جبريلعليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة[وروي أبو هريرة وفاطمة -رضي الله تعالى عنهما- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن جبريل كان يعارضه القرآن][4]، ووقع عند أحمد في آخر هذا الحديث:لا يسأل شيئاً إلا أعطاه([5]). وحديث فاطمة الذي أشار إليه البخاري هو ما روته عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: إنا كنا أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده جميعاً، لم تغادر منا واحدة، فأقبلت فاطمة -عليها السلام- تمشي، ولا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رآها رحب وقال:مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم سارها فبكت بكاء شديداً، فلما رأى حزنها سارها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصك

---

(1) مسلم 4/ 1803.

(2) ومثل هذا التصريح في مسلم 4/ 1803، وعند أحمد 1/ 230، : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض الكتاب على جبريل عليه السلامفي كل رمضان، فإذا أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الليلة التي يعرض فيها ما يعرض....

(3) ما بين الأقواس ألفاظٌ أخرى للبخاري.

(4) البخاري 3/ 1177.

(5) مسند الإمام أحمد 1/ 326.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسر من بيننا، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألتها: عم سارك؟، قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سره .فلما تُوفي، قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني . قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني، قالت: أما حين سارني في الأمر الأول، فإنه أخبرني (أن جبريلعليه السلام كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقي الله، واصبري، فإني نعم السلف أنا لك) قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جَزَعي سارني الثانية، قال: (يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أوسيدة نساء هذه الأمة)[1].

الدلالات العامة لحديث المعارضة:

والدلالات المأخوذة من هذا الحديث هي:

1 . اعتماد مبدأ المدارسة في مفردات التعليم المنهجي لألفاظ القرآن الكريم: فقدتنوعت روايات الحديث في وصف هذا الموقف التعليمي بين جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فوصفه بعضها بأنه (مدارسة)، وبعضها بأنه (معارضة)، وبعضها (يعرض عليه القرآن)، وبعضها أبهم الفاعل، وصرَّح البعض بأن الفاعل للعرض هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم،والبعض أن الذي كان يعرض هو جبريل عليه السلام ومنه استنباط الإمام النسائي: أن جبريل عليه السلام هو الذي كان يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما أشار إليه البخاري في قوله: وروى أبو هريرة وفاطمة -رضي الله تعالى عنهما- عن النبي صلى الله عليه وآله

(1) البخاري، 5/ 2317.

وسلمأن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن...**وهذه الأوصاف مستلزمةٌ سبرَ معانيها اللغوية والاصطلاحية، للتمكن من تحليل هذا الموقف التعليمي المتميز، والخروج بنتائج حقيقيةٍ تترتب عليه .**

2 . **تأكيد المعارضة السنوية، وتعويضها عند فواتها لعارض**: فقد اختلف في سبب معارضته صلى الله عليه وآله وسلم مرتين في العام الذي توفي بعده، ولا شك أن مجرد العلم الإلهي بوفاته سبب كافٍ في التأكيد على أصل أصول الدين، ويجعل ذلك كالمقطوع به استنباطه صلى الله عليه وآله وسلم حيث قالت ابنته فاطمة: (أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة وإنه قد عارضني به العام مرتين ولا أرى الأجل إلا قد اقترب)، لكن هذا لا يفسر اعتكافه مرتين على المستوى ذاته من القوة...وقد عرض ابن حجر-رحمه الله تعالى- اختلاف العلماء في سبب اعتكافه في العام الذي توفي بعده عشرين يوماً فقال: «قيل: السبب في ذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم علم بانقضاء أجله، فأراد أن يستكثر من أعمال الخير؛ ليبين لأمته الاجتهاد في العمل إذا بلغوا أقصى العمل ليلقوا الله عز وجل على خير أحوالهم[1]، وقيل: السبب فيه أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن في كل رمضان مرة، فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه عارضه به مرتين؛ فلذلك اعتكف قدر ما كان يعتكف مرتين، ويؤيده أن عند ابن ماجة: (وكان يعرض عليه القرآن في كل عام مرةً، فلما كان العام الذي

(1) يُضَعِّف هذا أنه أخبر عن نفسه بعدم العلم باقتراب أجله إلا بعد أن رأى جبريل عليه السلام عارضه القرآن مرتين، وذاك كائنٌ في منتهى رمضان فكذلك الاعتكاف فيقوى من هنا أن يكون للاعتكاف علاقة في معارضة القرآن، ولكن يقوي الاستنباط الأول النعي العام له صلى الله عليه وآله وسلم في سورة النصر وكانت بعد فتح مكة، فلقائل ذاك القول أن يقول: استكثر من الخير بعدما نزلت عليه هذه السورة ومن ذلك الاعتكاف، وأما المعارضة فكانت تحديداً أدق من النعي العام.

قبض فيه عرضه عليه مرتين)[1]، وقال ابن العربي: يحتمل أن يكون سببُ ذلك أنه لما ترك الاعتكاف في العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه، واعتكف بدله عشراً من شوال ــ اعتكف في العام الذي يليه عشرين ليتحقق قضاء العشر في رمضان انتهى، وأقوى من ذلك أنه إنما اعتكف في ذلك العام عشرين لأنه كان العام الذي قبله مسافراً، ويدل لذلك ما أخرجه النسائي وللفظ له وأبو داود وصححه ابن حبان وغيره من حديث بن أبي بن كعب ﷺ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فسافر عاماً فلم يعتكف فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين، وقال في موضع آخر: ويحتمل أيضاً أن يكون السر في ذلك أن رمضان من السنة الأولى لم يقع فيه مدارسة لوقوع ابتداء النزول في رمضان ثم فتر الوحي، ثم تتابع، فوقعت المدارسة في السنة الأخيرة مرتين ليستوي عدد السنين والعرض، ويحتمل تعدد هذه القصة بتعدد السبب، فيكون مرة بسبب ترك الاعتكاف لعذر السفر، ومرة بسبب عرض القرآن مرتين»[2].

1. **التركيز في عنصر الوقت لتثبيت ومراجعة لفظ القرآن الكريم: وذلك باعتماد الدرس الليلي**: إذ كانت المعارضة تتم ليلاً، ليتم الوصول إلى الكمال في الإحاطة بالدرس القرآني إذ يتم حفظ، أو مراجعة ما يراد تثبيته من الليل، ثم يعقبه نومٌ، ثم تجري مراجعته سحراً أو بكرة؛ لأنه إذا تساوى زمن الحفظ واليقظة بين التعلم والتذكر؛ فإن زمن النوم أقل ضرراً على الحفظ من زمن اليقظة؛ لعدم التعرض لخبراتٍ جديدة خلال النوم يحصل بسببها النسيان؛ فإن النسيان إنما يحدث من جراء حصول

(1) سنن ابن ماجة 2/ 345.
(2) فتح الباري 4/ 285.

خبراتٍ جديدة، يفسح لها الدماغ مجالاً، فيطمس أشياء قبلها[1]، ولذا قال ابن حجر- رحمه الله تعالى: «اختيار الليل لأن المقصود من التلاوة الحضور والفهم، لأن الليل مظنة ذلك، لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية». وقد مر نحو هذا في فوائد آيات المزمل.

2. **متضَمَّنات المعارضة**: تتضمن المعارضة بين جبريل عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم المفاهيم التالية:

3. **الإراءة**: إذ: «عرض الشيء عليه يعرضه عرضةً أراه إياه»[2]... فعَرْضُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن على جبريل عليه السلام يتضمن نظر جبريل عليه السلام في لفظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأدائه تصويباً، وتفهيماً، وتعبداً، وعرض جبريل عليه السلام يتضمن نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في لفظ جبريل عليه السلام تعلماً، وتفهماً، وتعبداً، إذ كلٌ منهما يُرِي الآخر لفظه، وأداءه، ويحتمل أيضاً: ومعناه، ولذا جاء في مادة عرض: «وعرضت الكتاب، وعرضت الجند عرض العين إذا أمررتهم عليك، ونظرت في حالهم»[3].

4. **المقابلة**: من قولهم عارض الكتاب بالكتاب قابله به[4]، ويشترط أن يكون ثَمَّ أصلٌ مقابَلٌ عليه، وفرعٌ مقابَلٌ به، فيظهر من ذلك أرقى ما يمكن أن يصل إليه التدقيق، مما هو خارجٌ عن نطاق البشر في مقابلة حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله

(1) المهارات الدراسية ص124 بواسطة: مقال ظاهرة النسيان، مجلة البيان، عدد 105.
(2) لسان العرب 9/ 137.
(3) لسان العرب 9/ 138.
(4) مختار الصحاح ص270، النهاية في غريب الأثر 3/ 133.

وسلم على ما أُمِر جبريل عليه السلام بحفظه من ربه، وأهم صفةٍ ذاتيةٍ لجبريل عليه السلام عند نزوله من السماء أنه ما ينزله ربه عز وجل إلا بالحق[1].

5. **الظهور**: ففي مختار الصحاح: «عرض له كذا أي ظهر، وعرضته له أظهرته له وأبرزته إليه»[2].

6. **عرض القرآن بالحروف المأذون بالقراءة بها**[3]: إذ قد حُسِمَ أمر عرضه للقرآن كله (لكل ما نزل منه) في كل رمضان بحديث العرضتين الثابت عن ابن عباس، وفاطمة، وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم، وفي ذلك دلالة على أمرين:

---

(1) من قوله عز وجل﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر/ 8]، بل إن مجرد النزول لا يكون إلا بأمر من الله، لقوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم/ 64]، وليس للملك الاجتهاد في إنشاء أمر، أو تنفيذه كما في قوله جل جلاله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء / 27]، فالحق صفة ذاتية في النزول والنازل والمنزَل به، فلا مس من باطل يعتريه، ولا اجتهاد من مخلوق يأتيه.

(2) مختار الصحاح 178.

(3) لا يمكن لنطاق البحث أن يتوسع في شرح مدلول حديث الأحرف السبعة؛ ولكن يقال على سبيل الإجمال: محصِّل ما ورد في هذا الموضوع من أقوال يرجع إلى: أن المراد من الأحرف السبعة من حيث العموم ومراد الحديث، لا من حيث التحديد هو «ما يشمل اختلاف اللهجات، وتباين مستويات الأداء الناشئة عن اختلاف الألسن، وتفاوت التعليم، وكذلك ما يشمل اختلاف بعض الألفاظ، وترتيب الجمل، بما لا يتغير به المعنى المراد»، أو يتغير المعنى بما لا يتضاد به المعنيان الواردان في القراءتين، ويكون الجميع مراداً، دون تكرار للآية، أو تطويلٍ للمصحف، وفي ذلك تيسير ظاهر، «وهذا دون محاولة حصر تلك الوجوه في سبع لغات، أو وجوه من الخلاف، ويظل معنى الحديث بعد ذلك يشير إلى الرخصة التي جاءت تيسيراً وحلاً لمشكلة واجهت الجماعة المسلمة، دون تحديد لأبعاد تلك الرخصة، لكنها لا تخرج عن إطار وجوه القراءات المروية».

وما بين علامتي التنصيص الأوليين هو من كلام الدكتور عبد الصبور شاهين، انظر: تاريخ القرآن 61، دار القلم 1966م، وما بين علامتي التنصيص الأُخريين هو من كلام غانم قدوري الحمد، انظر: رسم المصحف 144، وانظر أيضاً: (الباقلاني) محمد بن الطيب ت 403هـ: نُكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق د. محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة بدون لكل ما سبق.

أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرض كل ما نزل، وأنه كان يقسم ذلك العروض على ليالي رمضان[1]، ويدل لذلك حديث ابن عباس ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف)[2].

(1) وقد صرح ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ ببعض ذلك في فتح الباري 9/ 45، فقال: «ولولا التصريح بأنه كان يعرضه مرة واحدة، وفي السنة الأخيرة مرتين ـ لجاز أنه كان يعرض جميع ما نزل عليه كل ليلة، ثم يعيده في بقية الليالي».

(2) البخاري 3/ 1177.